

- العرب وتصاعد خيار القوة الناعمة
- إطلالة على المكتبات الخاصة في القطيف
- فولتير والإسلام: من التنازع إلى التناغم
- عرفان شهيد: اهتمامي بنجران قادني لاكتشاف مخطوطة سريانية فريدة

مجلة ثقافية شهرية - رمضان/شوال ١٤٣٣هـ/ أغسطس/سبتمبر ٢٠١٢م

الفيصل - السنة ٣٧ - رمضان/شوال ١٤٣٣هـ/ أغسطس/سبتمبر ٢٠١٢م

٤٣٥
٤٣٦

٤٣٥/٤٣٦

الثورات العلمية والثورات السياسية ما العلاقة ؟

داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان

الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان

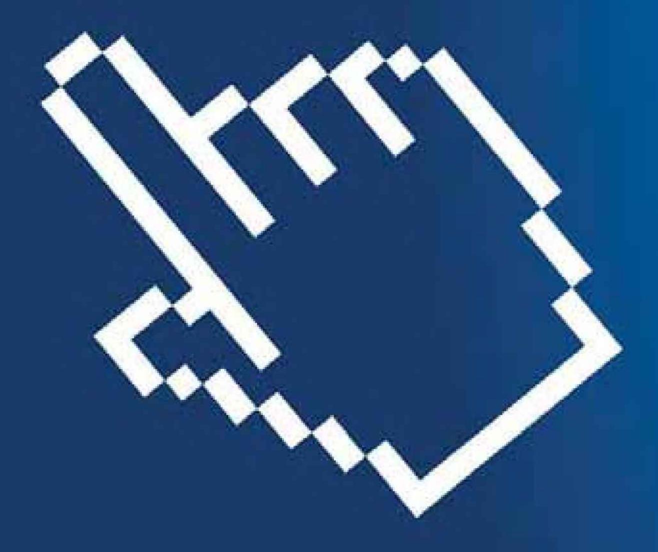
SAUDI CANCER SOCIETY



حسابات التبرع العام

بنك الراجحي	sa 1180000114608010005117
بنك ساميا	sa 1540000000007007009697
البنك الأهلي	sa 7110000024653949000106
البنك الهولندي	sa 2250000000010042264005
بنك الرياض	sa 8620000002120077499940
بنك الإنماء	sa 5505000068200067502000
بنك ساب	sa 2845000000004322111001
بنك البلاد	sa 6115000999300000170009

أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات



المحتويات



ما إن اشتد عود الثورات العربية الماجدة، وبدأت نسبياً تؤتي أكلها وثمارها اليانعة، حتى بدأ عدد من شعوب المعمورة بالاستلهام من التجربة العربية، والانبهار بالربيع العربي، ومحاولة استنباته في بلدانهم؛ لهذا سمعنا بمظاهر النضال السلمي والمسيرات المليونية والاعتصامات الميدانية في عدد من دول العالم.

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
سيد علي الجعفري
يوسف باش أعيان

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠
ردمد ١٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com
contact@alfaisal-mag.com
alfaisalmagazine@yahoo.com

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) . فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢..، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢.٦.٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com

رســـــائلكم



ندوات علمية في «الفيصل»

اطلعت مؤخراً على مجلة (الفيصل العلمية)، ووجدت أن موضوعاتها تتّسم بالحيوية والتنوع. ولاهتمامي -بحكم دراستي الطب- بالموضوعات العلمية عامةً، والطبية خاصةً، آمل أن تعمل المجلة على إبراز بعض أمراض العصر التي تؤرق أغلب الناس؛ مثل: السكري، وضغط الدم، وأمراض الكبد، والكلى. ويمكن للمجلة أن تتبنى إقامة ندوات علمية يشارك فيها عدد من المختصين، وفائدة هذه الندوات أن كلّ واحد من هؤلاء سيقدم ما لديه من جديد، ومن ثم ستتوافر مادة علمية وافرة تفيد طلاب العلم والمختصين، إلى جانب الجمهور العام الذي أصبح يهتم بالتثقيف الطبي.

وآمل أن أشارك بالكتابة في المجلة، ولا أدري ما المطلوب لتحقيق ذلك، وتقبلوا وافر تحياتي.

محمد صلاح خليل صالح

كلية الطب- جامعة الخرطوم

التحرير

نشكر لك اهتمامك، واقتراحك يستحقّ الدراسة، ونأمل أن نستطيع تحقيقه على أرض الواقع. ولا تتطلب المشاركة في أيّ من إصدارات (الفيصل) غير الالتزام بالشروط الواردة في المجلة، وأهمها أن تتّسم الموضوعات بالجدة الموضوعية والأمانة العلمية.



جميل.. لكن!!

أتابع مجلة (الفيصل) منذ سنوات بعيدة، ولفت انتباهي في المدة الأخيرة اهتمامها بالأحداث الجارية، ونشرها موضوعات ذات صلة بالواقع المعيشي، وهذا ما يجعلها قريبةً من القراء، إلى جانب رصانتها في تناول القضايا الفكرية والثقافية. لكن لفت انتباهي أن المجلة لا توجد إلا في بعض أحياء القاهرة، بينما تسجّل غياباً في مكتبات الأقاليم، وهو ما يكبّدنا المشاقّ للحصول عليها؛ فلماذا لا يتم توسيع دائرة المجلة في مصر، وأرجو ألا تربطوا هذا الوضع بالأحداث الحالية في مصر؛ لأن المشكلة قديمة، وأنا أكتب ما رأيت من واقع التجربة، متمنياً لكم التوفيق والازدهار.

صبري محمد قورتي

أسوان- مصر

التحرير

نشكر لك المتابعة والتواصل مع المجلة، ونشير إلى أن مشكلات التوزيع بعمومها ستكون محلّ اهتمام حتى يتم وضع حلّ لها.

زجل في مجلة «الفيصل»



غنيّة تحوي في صفحاتها درر تناولتها أيدي الشرق والغربِ

دار فكر حسام الشعب أسّسها أحد صروح العلم والشعر والأدبِ

علت منارات نشر بفخر عزتها تعلو كأشمس فوق هامة السحبِ

ثقافية الفكر جمعت طيّاتها عطراً يفوح شذاها إبداعاً من الكتبِ

يذكر العبق رجلاً كان رائدها بكت رحيله عيون العالم العربي

قاسم مسعود

الرياض- السعودية

التحرير

شكراً لك، ونأمل أن تكون المجلة دائماً عند حسن ظنّ الإخوة القراء، ونرحّب بمشاركاتك.

«الفيصل» والاهتمام بالشباب



السادة الكرام مجلة الفيصل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بدايةً، أودّ أن أبدي إعجابي بالموضوعات التي يتمّ نشرها في مجلتكم الموقرة؛ فكم هي موضوعات شاملة تجمع بين الاهتمام بالشؤون الداخلية لوطننا، والاهتمام بالقضايا العالمية، والمشكلات التي تواجه بعض الدول الشقيقة. كما أعبّر عن مدى إعجابي بالموضوعات التي تناقش المشكلات الأسرية التي تواجهها أعداد كبيرة من أفراد المجتمع الداخلي والخارجي، وكذلك اهتمام المجلة بأخبار المسلمين في الخارج، وحوارات الأستاذ عبدالله الكويليت -نائب رئيس التحرير- مع مفكّرين وسياسيين. وأتمنى من مجلتكم الموقرة مناقشة الموضوعات والمشكلات الشبابية التي تلفت انتباه الشباب للمجلة، والاهتمام بنشر الموضوعات التي تركّز في المشكلات التي قد يواجهها بعض الشباب عند دخولهم الجامعة، والانخراط في المجتمع الواسع الذي يختلف اختلافاً جذرياً عن المجتمع المدرسي.

أدام الله عليكم التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هيثم الرويشد

الرياض- السعودية

التحرير

نشكر لك رسالتك، ونعدُك بأن تواصل المجلة طرح موضوعاتها المتنوعة، ونرحّب بمقترحك عن الاهتمام بتناول المشكلات التي يواجهها الشباب عند انخراطهم في مجتمع الجامعة، وننتظر مشاركةً منك في هذا الإطار.



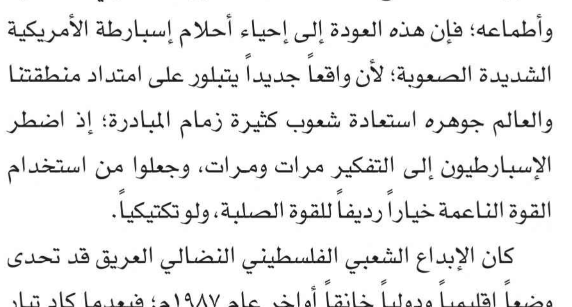
العرب وتصاعد خيار القوة الناعمة

خير الدين عبدالرحمن
حلب – سورية

يشهد عالمنا حالياً تحولاً متزايداً نحو تغليب استخدام عناصر القوة الناعمة وأدواتها على ما ساد طويلاً من اعتماد مفرط في استخدام عناصر القوة العسكرية ردعاً أو عملاً. ازداد انتشار هذا الانطباع مع بداية تداعيات التوق إلى التغيير الذي عبر عنه المجتمع الأمريكي بانتخاب باراك أوباما بديلاً يناقض ظاهرياً في كثير من أفكاره وأساليب معالجته القضايا الدولية ما أوغل فيه سلفه جورج بوش الابن من استخدام الغزو والحرب والتهديد بالقوة العسكرية الأمريكية الطاغية.



لكن سرعان ما ظهر أن الأمر لا يقتصر على الاستبدال بشخص رئيس أو وعد انتخابي تغيير نهج، وإنما يتمثّل أساساً في تفاعلات تلاحق التصدعات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية على الصُّعُد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتعاظم العداء لسياساتها، والتمرّد على نفوذها في حديقتها الخلفية -أمريكا الوسطى والجنوبية- ومعظم أنحاء العالم، إضافةً إلى تحولات فكرية وسلوكية وتقنية جذرية واسعة. مع ذلك، لم يسقط التوجّه إلى تغليب القوة الناعمة أولويةً واختياراً. وإذا كانت نتائج الانتخابات النصفية التي أعادت الأغلبية في مجلس النواب الأمريكي إلى الحزب الجمهوري؛ حزب بوش الابن والمحافظين الجدد، قد أوحت باحتمال عودة تغليب النزعة الحربية والإمبراطورية الأمريكية، فضلاً عن أن المؤسسة الفاعلة والمتحكمة في رسم السياسات واتخاذ القرارات جعلت أوباما يناقض عدداً مما وعد أو أوحى به في هذا السياق، بدءاً من نكوثه في تعهّده الجازم بإغلاق معتقل جوانتانامو، وانتهاءً بقرار تعزيز



الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان، واندفاعه إلى مدى غير مسبوق في الانصياع لسياسات كيان الغزو الصهيوني لفلسطين وأطماعه؛ فإن هذه العودة إلى إحياء أحلام إسبارطة الأمريكية الشديدة الصعوبة؛ لأن واقعاً جديداً يتبلور على امتداد منطقتنا والعالم جوهره استعادة شعوب كثيرة زمام المبادرة؛ إذ اضطر الإسبارطيون إلى التفكير مرات ومرات، وجعلوا من استخدام القوة الناعمة خياراً رديفاً للقوة الصلبة، ولو تكتيكياً.

كان الإبداع الشعبي الفلسطيني النضالي العريق قد تحدى وضعاً إقليمياً ودولياً خانقاً أواخر عام ١٩٨٧م؛ فبعدما كاد تيار الاستسلام للغزوة الصهيونية يرسّخ نهائياً التفريط في الحقوق والآمال الفلسطينية والمصير العربي إذا الحجارة في أيدي أطفال فلسطين تبهر العالم، فتتحدى دبابات الغزاة الصهاينة، بل تتحدى من حيث لا تقصد ترسانة الغزاة النووية التي ارتعدت منها أكثر الأنظمة العربية الحاكمة؛ فغدرت بالثورة الفلسطينية، وساقت قيادتها إلى المساق الرسمي العربي الخاضع. آنذاك، دخلت كلمة (انتفاضة) العربية بلفظها ومدلولها معظم لغات العالم، وأضيفت إلى المشترك الثقافي العالمي.

زلزال عربي

جاء الحراك الشعبي العربي في عدة أقطار عربية بعد ثلاثين





سنة إبداعاً جماهيرياً أفرزته أمة شاع وهمٌ بأنها ماتت أو تكاد في مناخ الانتكاسات والهزائم والقمع والتسلط والغزو الأمريكي. جاء هذا الحراك بعدما ساقت العصا الأمريكية النظام العربي الرسمي خانعاً إلى بلاط عصر صهيوني، وبعدما توهّمت معظم الأنظمة العربية الحاكمة أنها تجرّ الأمة كلها معها إلى حيث يأمر السيد الأمريكي، وأنها استطاعت ببطش أجهزتها القمعية، وإفك شبكاتها التزويرية التلفيقية، أن تحوّل الأمة بأسرها إلى قطعان مصفّقين وهتّافين وساجدين لحكام متألّهين، قطعان تمّ تطويعها فلا تنبس بكلمة، أو تشهق شهقةً، أو تتحرك حركةً إلا وفقاً لتعليمات سلطوية. جاء الحراك الشعبي العربي زلزالاً أطاح بعدد من أعتى الحكام الطغاة الذين دمّروا أقطارهم ومجتمعاتهم خدمةً للعدو الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية. وسرعان ما بهر هذا الحراك الشعبي الأعزل شعوب العالم كافةً، وأزاح الصورة المقيتة الزائفة التي زعمت أن أمتنا خانعة فاقدة الإرادة والفعالية، تعاني سكرات الموت، وترتمي مهملةً على هامش المجتمع الإنساني بفعل أولئك الطغاة قامعي شعوبهم، وناهبي ثروات بلادهم، ومتسوّلي رضا الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

لم يكن الأمر مجرد إعجاب عالمي عابر بالإصرار والتضحية والإرادة الصلبة لذلك الحراك الشعبي السلمي العربي في مواجهة البطش السلطوي، وإنما تجسد الانبهار العالمي اقتداءً عملياً بهذا الحراك حتى في تفاصيل خطواته وأساليبه وشعاراته. هكذا تلاحقت تحرّكات شعبية من مدريد إلى لندن وباريس، ومن أثينا إلى نيويورك وتلّ أبيب، تجاهر باقتدائها بحراك (الربيع العربي). أكثر من هذا، كان المعتصمون رافعو شعار (احتلوا وول ستريت) في نيويورك حيث معقل دهاقنة رأس المال المهيمن على العالم يهتفون: (الشعب يريد إسقاط النظام) بالألفاظ العربية مشوبةً بلكنة أنجلوأمريكية. وبلغ تأثير الحراك الشعبي العربي مدًى غير مسبوق عندما راح المتظاهرون في تلّ أبيب والقدس من الغزاة الصهاينة مغتصبي فلسطين يهتفون: (الشعب يريد إسقاط النظام) بألفاظ عربية نازفة ألماً لاختلاطها بلكنتهم.

> جاء الحراك الشعبي العربي زلزالاً أطاح بعدد من أعتى الحكام الذين دمروا أقطارهم ومجتمعاتهم خدمة للعدو الصهيوني وأمريكا

> تتضافر الأخلاق والمبادئ إطاراً للفعل من أجل تحويل المبادئ إلى مشاعر تصبح تدريجياً جزءاً من الأخلاق الجمعية

قوة الفعل الاجتماعي

لقد شدد المفكر العربي قسطنطين زريق منذ نحو سبعين سنة على أن خلاص الأمة كامن في «قوة الفعل الاجتماعي الذي نستطيع به مواجهة ما هو آتٍ بأصفى ما نملك من فكر، وأنفذ ما نقدر عليه من عمل، وأروع ما نحن أهل له من وحدة وطنية». أليس الحراك الشعبي المتزامن المتماثل في عدد من الأقطار العربية ذروة من ذرى تجسيد قوة الفعل الاجتماعي؟! أليس في دخول مصطلح (الانتفاضة) قبل ثلاثين سنة، وشعار (الشعب يريد) حالياً، قاموس الألفاظ العالمية المشتركة مثال واضح على مدى تأثير القوة الناعمة المتجسدة في إطلاق إرادة الفعل الجمعي؟!

لقد جزم الفيلسوف الإغريقي هرقليطس بأن الصراع هو أبو الكائنات جميعاً، والملك على الكائنات جميعاً. لكن ما ميّز الإنسان من سواه من الكائنات هو ما طوّر من قواعد سلوك، في مقدمتها أخلاق الحرب وأصول التعامل الإنساني فيها من ناحية، وتسويغ هذه الحرب بأنها السبيل إلى إقرار السلام أو العدالة من ناحية أخرى، والمزاوجة شبه المستحيلة بين أنسنة الحرب من جهة واستنباط أشد وسائل التدمير فعاليةً لحسم تلك الحرب من جهة أخرى، وأخيراً السعي المبدع إلى خوض الصراع بوسائل تحقق الأهداف المبتغاة من دون لجوء إلى قتل وتدمير. يفترض المنطق السليم أن الوسائل السلمية هي أكثر كفاءةً لتناول مختلف النزاعات الفردية والجمعية، لكن الشذوذ الذي تغذّيه غطرسة القوة يزيح هذا المنطق؛ ليفرض ما قد بات ثقافةً تجسّدها مقولات

مثل مقولة: (القوة هي الحق Might is right)، التي شكّلت ركناً رئيساً للتربية الجمعية في الولايات المتحدة الأمريكية منذ بدايات الغزو الاستيطاني الأوربي لتلك البلاد. ولعل المثال الصارخ المعاصر الأشد سفوراً ووقاحةً هو الكيان الصهيوني الذي لم يحترم السلام منذ تمّ فرض اغتصاب الغزاة الصهاينة أرض فلسطين قسراً بتواطؤ مع القوى الاستعمارية؛ فهذا الكيان لا يستخدم الدبلوماسية سوى للحصول على ما تخفق حروبه ومجازره وجرائم الإبادة التي يشنّها في انتزاعه من ضحاياه الفلسطينيين.

الانقطاع عن الذات الحضارية

يظلّ التواصل والنقد والتجاوز والتخلّي والاكتساب في كلّ هذه السياقات عناصر رئيسة للبناء التاريخي المجتمعي المتجدد؛ إذ تتضافر الأخلاق والمبادئ إطاراً للفعل من أجل تحويل المبادئ إلى مشاعر تصبح تدريجياً جزءاً من الأخلاق الجمعية، فتنفلت من تأثير الجدل، كما قال غوستاف لوبون. لكن هذه العملية تتحول إلى مسخ قسري، واقتلاع بالقهر، وقولبة جذرية استعبادية إلحاقية عندما يؤدي الإملاء والتبعية والتقليد الاستنساخي إلى انقطاع عن الذات الحضارية بجذورها وركائزها التاريخية، واستسلام لأسوء القيم والأنماط الوافدة. فقد لاحظ باحثون كثر في هذا الخضم أن البشرية تعيش حالة حرب دائمة تتخلّلها فترات صراع بارد، أو هدوء عابر، أو استراحة قصيرة هنا وهناك، يطلق عليها بعضهم اسم السلام؛ إذ إن لكلّ شكل من أشكال الصراع أدواته، وطبيعي أن يتوافر انسجام كافٍ بين شكل الصراع وأدواته.

كانت مفارقة تستحق التمعّن مثلاً أن يدعو وزير الدفاع الأمريكي السابق مراراً إلى زيادة ميزانية النشاط الدبلوماسي وعناصر القوة الناعمة الأخرى لبلاده، والحد من العسكرة الطاغية لسياستها الخارجية، بينما المنطقي أن يطالب وزير الدفاع بزيادة ميزانية وزارته، وأن يطالب وزير الخارجية بزيادة ميزانية وزارته، لا أن يتبادلا المهام. كان روبرت جيتس قد أطلق هذه الدعوة في خطاب ألقاه يوم ٢٦ نوفمبر/تشرين الأول ٢٠٠٧م في جامعة ولاية كنساس في مانهاتن، مطالباً بزيادة كبيرة في الأموال المخصّصة لتعزيز مواقع الولايات المتحدة التي تمارس العمل الدبلوماسي والعلاقات العامة عبر قوتها الناعمة، وتقديم المساعدات الخارجية على نحو واسع؛ إذ قال: «يجب أن نركّز طاقاتنا فيما هو أبعد من أسلحة العسكريين، ومن الجنود والبحارة ومقاتلي سلاح الجو... إن الميزانية المخصّصة لبرامج السياسة الخارجية البالغة ستةً وثلاثين مليار دولار صغيرة جداً بالمقارنة مع الميزانية العسكرية البالغة تريليون دولار». ودعا جيتس بإلحاح إلى زيادة كبيرة في الإنفاق على الأدوات المدنية للأمن القومي؛ أي: العمل الدبلوماسي، والاتصالات الإستراتيجية، والمساعدات





الخارجية، وإعادة الإعمار، والتنمية، والعلاقات العامة، وسائر أدوات القوة الناعمة. ومضى جيتس يقول بمرارة: «من المربك فعلاً أن يتمكّن تنظيم القاعدة من إيصال رسالته عبر الإنترنت بكفاءة أعلى وأداء أفضل مما فعلت الولايات المتحدة التي أخفقت في تحسين صورتها»[١]. وعاد روبرت جيتس ليكرّر الدعوة نفسها يوم ١٦ يوليو/ تموز ٢٠٠٨م في حديث له مع ممثّلي منظمة حملة قيادة الولايات المتحدة الكوكبية [٢]؛ إذ قال: إن الجيش الأمريكي ينفق على عملياته ما يقارب نصف تريليون دولار سنوياً، عدا نفقات حربي العراق وأفغانستان، قياساً إلى ٣٦ مليار دولار سنوياً فقط

كانت مفارقة تستحق التمعن أن يدعو وزير الدفاع الأمريكي السابق مراراً إلى زيادة ميزانية النشاط الدبلوماسي وعناصر القوة الناعمة الأخرى لبلاده، والحد من العسكرة الطاغية لسياستها الخارجية



هي كلّ ميزانية وزارة الخارجية. وأردف قائلاً: «إنني هنا للدفاع عن تعزيز قوتنا الناعمة، ودمجها بمستوى أفضل وأكثر فاعلية في قوتنا الخشنة».

تحدث رجا كمال -عميد تنمية الموارد في كلية هاريس للسياسات العامة في جامعة شيكاغو- في اليوم التالي عن الأثر الإيجابي الشديد الفعالية والطويل الأمد لنموذج من أدوات القوة الناعمة، هو الجامعة الأمريكية في بيروت، التي أسّسها فريق كنسي من المبشّرين على رأسهم دانيا بلس عام ١٨٦٦م، والتي لم تكلّف الولايات المتحدة سوى دعم مالي هزيل -سراً أو علناً- لا يتعدى بضعة ملايين من الدولارات، في مقابل كوابيس حرب العراق التي كلّفت خمسة آلاف دولار في الثانية الواحدة، والتي وصفها بأنها ليست تجربة خاطئة فحسب، بل أثبتت أن لها أيضاً أثرها السلبي في صورة الولايات المتحدة أمام العالم، وصورتها أمام نفسها كذلك[٣].

جاء في مقدمة وثيقة (إستراتيجية الدفاع القومي)، المكوّنة من ٢٣ صفحة، التي كانت أول خطة معدّلة للإستراتيجية الدفاعية الأمريكية قدمها روبرت جيتس بوصفه وزيراً للدفاع، قوله: «يتعيّن على الولايات المتحدة تعزيز تحالفاتها وشراكاتها وتوسيعها؛ إذ إن نظام التحالفات الأمريكي كان حجر زاوية الأمن والسلام لأكثر من جيل، ولا يزال هو مفتاح نجاحنا... لا نستطيع الانتصار بمفردنا، لكن يجب علينا في الوقت ذاته الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من حرية الحركة على الساحة الدولية، خصوصاً حيال المداخل إلى المناطق الإستراتيجية؛ بهدف توفير حاجاتنا الأمنية القومية». جاء هذا تطوراً واضحاً يختلف عن تشديد وزير الدفاع الأسبق دونالد رامسفيلد وعتاة المحافظين الجدد سبع سنوات على ضرورة احتكار الولايات المتحدة ممارسة العنف واستعراض القوة في العالم.

مفهوم القوة الناعمة

عندما نحت البروفيسور جوزيف ناي -عميد معهد كينيدي في جامعة هارفارد، ومساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق- تعبير القوة الليّنة أو الناعمة Soft Power في عام ١٩٩٠م أوضح أنه يشير بهذا التعبير إلى القدرة على تحقيق الهدف عبر استخدام الجذب والإقناع، خصوصاً في التعامل مع المسائل الدولية

الحساسة والمهمة التي تتطلب تعاوناً دولياً بين الأمم. قام مفهوم القوة الناعمة في مقابل مفهوم القوة الصلدة أو الخشنة Hard Power، التي تستخدم الضغوط العسكرية والاقتصادية لتحقيق الهدف ذاته، والحصول على النتيجة نفسها من خلال ممارسة القسر والقهر والإكراه على الفاعلين الدوليين الآخرين[٤]. أوضح ناي في كتابه (تغيير طبيعة القوة الأمريكية)، الصادر عام ١٩٩٠م متضمناً نظريته حول القوة الناعمة، أن هذه القوة هي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخّاها المرء، والقدرة على بلوغ النتائج المتوخاة، وتحصيل المراد من خلال الجاذبية بدلاً من القسر والإرغام أو دفع الأموال. وقد رأى ناي أن القوة الناعمة ستمكن الولايات المتحدة من الحصول على ما تريده من العالم بأقلّ التكاليف من خلال الجاذبية الثقافية بكلّ صورها، ووسائلها، وأدواتها، ومثلها السياسية، ودورها في ترويج الأفكار والنماذج لاحتلال عقول الآخرين، وتطويع نفوسهم وقلوبهم، وغوايتهم بتأييد السياسة الأمريكية، والإغراء الذي يمارسه العرض البرّاق لتزيين نمط الحياة الأمريكية بقيمها، وسلوكياتها، والبارزين من أشخاصها في المجالات المختلفة. وقد أقرّ أوليغ كالوجين -أحد كبار مسؤولي مخابرات الاتحاد السوفييتي السابق (KGB)- عام ١٩٩٧م أن الولايات المتحدة استخدمت



التبادلات الثقافية حصان طروادة الذي أدخل إلى الاتحاد السوفييتي، وأدى دوراً هائلاً في تأكّل نظامه[٥].

يصف مصطلح القوة الناعمة -كما ينقل يوسف بن أحمد العثيمين[٦]- قدرة أيّ دولة على التأثير غير المباشر والمستمر في سلوك دول أخرى وسياساتها ومصالحها، إضافةً إلى تأثيرها في توجّهات نخبها وشعوبها عبر توظيف جملة من الوسائل غير العسكرية؛ مثل: الأدوات الثقافية، والدينية، والأيدلوجية، وغيرها من الوسائل التي تشكّل في مجموعها منظومة مؤثرة بطرائق ناعمة، بعيداً من وسائل القوة والضغط. والهدف من ممارسة القوة الناعمة تمكين الدولة من الحصول على ما تريد من الدول الأخرى بطرائق غير مباشرة، وعبر تقديم أساليب جذابة لاستمالة عقول الشعوب وقلوبها ونخبها على المدى البعيد من أجل إحداث تأثير مستمر في تلك الدول، وتوجهات سياساتها الخارجية، واتجاهات الرأي العام بين مواطنيها؛ بغية استفادة الدولة من هذا التأثير لمصلحتها في مواقف متعددة؛ مثل: حالات الحرب والسلم، وأوقات الأزمات، وتليين المواقف المُعلنة، والتصويت الداعم لها في المحافل والمنظمات الدولية، ودرء شرور الدولة المستهدفة ونواياها، خصوصاً إذا كانت تربطها بها حدود جغرافية مباشرة، بل حتى التأثير في دول أخرى عبرها ذوات صلة مباشرة بالدولة المُستهدفة، وأخيراً إبقاء الدولة المُستهدفة في حالة علاقات مستقرة، وشعبها في حالة تعاطف دائم.

من الخوف إلى الإلهام

أشارت استطلاعات الرأي العالمي إلى تراجع قوة أمريكا وقدرتها على جذب شعوب أوربا وأمريكا اللاتينية وإفريقية، خصوصاً شعوب العالم الإسلامي. وعندما وجّهت الأسئلة إلى من شملتهم استطلاعات الرأي عن مسوّغ اعتقادهم بتراجع القوة الأمريكية الناعمة أشاروا إلى سياسات واشنطن أكثر مما ذكروا الثقافة والقيم الأمريكية. يقول جوزيف ناي قائلاً: إن لجنة دراسة القوة الناعمة في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، وهو مؤسسة أبحاث ودراسات ثنائية حزبية، قد استنتجت قبل نحو سنة من انتهاء ولاية الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن أن صورة أمريكا ونفوذها قد تراجعا عالمياً خلال السنوات الأخيرة الماضية، وأنه على أمريكا أن تبدأ بالتحول من تصدير الخوف إلى إلهام شعوب العالم بالتفاؤل والأمل. ولم تكن تلك اللجنة هي الوحيدة التي انفردت بالتوصل إلى ذلك الاستنتاج.



الاحتلال الناعم

لقد استنبط مصطلح الاحتلال الناعم -امتداداً لمفهوم القوة الناعمة- احتلالاً سلاحه كتاب وصحيفة ومحطة تلفزة ومحطة إذاعة ومسرح، إضافةً إلى شبكات كونية للهيمنة على الاتصالات ووسائط التواصل عبر الدول والقارات، إلى جانب تقديم خبز وطحين أحياناً لمنكوبي كوارث طبيعية أو جائحات أوبئة. ولئن تمّ نحت تعبير القوة الناعمة قبل نحو عقدين إن جوهر مفهوم هذا التعبير واستخداماته أقدم بكثير، سواء من حيث اختلاف أدوات القوة الناعمة أم اختلاف منهجها عن أدوات الاشتباك الخشن والمواجهة المباشرة. لقد نجحت الإمبراطوريات الكبرى في التاريخ في البقاء طويلاً؛ لأنها وازنت بين القوتين اللينة والصلدة. فقد منحت روما القديمة -على سبيل المثال- رعاياها في المستعمرات من غير العبيد فرص التعليم والترقي الاجتماعي ونيل الجنسية الرومانية، وصولاً حتى إلى اعتلاء عرش أباطرة روما نفسه، كما فعل كثير من السوريين؛ مثل كركلا. وكان امتداد الدعوة الإسلامية -والدولة الإسلامية- فيما بين الفلبين وإندونيسيا والصين شرقاً وإسبانيا غرباً، وفيما بين موسكو وبودابست وفيينا شمالاً ورأس الرجاء الصالح جنوباً، بوسائل ناعمة أساساً، هي الحوار الفكري، والحكمة، والموعظة، والقدوة الحسنة في السلوك، والتعاطف والسعي إلى الخير العام، واحترام خيارات الآخرين أمماً وأفراداً. كذلك فعلت الدولة العثمانية؛ إذ اعترفت بكل الأديان والأعراق



لرعاياها، وبلورت هوية عثمانية واحدة ينتمي إليها أيّ فرد في إمبراطوريتها، وشيئاً فشيئاً ازدادت فعالية عناصر القوة اللينة.

لقد اشتد الاهتمام بمفهوم القوة الناعمة وتطبيقاته في السنوات الأخيرة في موقف عالمي رافض ضمناً لإيغال إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن في استخدام القوة العسكرية الطاغية ردعاً وعملاً، كما ازداد التركيز في دراسة الآثار الظاهرة والخفية، والفورية والمؤجلة، والمباشرة وغير المباشرة للثقافة والاتصال والإعلام والقيم والأفكار، وقياسها؛ فآثارها تتغلغل في النفوس بيسر، وتستقرّ فيها طويلاً وعميقاً، بينما تتمثّل آثار استخدام القوة الصلبة أو الخشنة من غزو واحتلال واجتياح وقتل وتدمير وحصار وعقوبات اقتصادية في إثارة الكراهية والمقاومة والرغبة في الانتقام. وقد شهدنا توسعاً في نحت الكتّاب والمفكرين مشتقات من القوة الناعمة؛ إذ استخدم خيري منصور -مثلاً- مصطلح الاحتلال الناعم قائلاً: «أمريكا الراهنة لا صلة لها بأطروحات إمرسون أو ثورو أو حتى الشاعر والت ويتمان؛ لأنها أصدرت الاستعمار الكلاسيكي في طبعة جديدة مزخرفة ومنقحة، وعدد ضحاياها قد يكون أضعاف عدد ضحايا الكولونيالية خلال قرن؛ بسبب تطور الأسلحة الإبادية، والسرعة في إنجاز الاحتلال، وما سُمّي قوات التدخل السريع العابرة للقارات والقوميات، وكلّ ما له علاقة بالسيادة في عالم أرادت له الإمبراطورية الأخيرة أن يتحول إلى زنزانة بسعة كوكب. وقد يكون الاحتلال المباشر أهون من الاحتلال الناعم؛ لأنه مفهوم ومرئي بالعين المجردة، ويستنفر المشاعر القومية عبر الاحتكاك اليومي، بعكس الاحتلال الناعم الذي لا يُرى إلا بالمجهر، ولا تكون انتهاكاته مادية، بل معنوية وثقافية. الاحتلال الناعم يقضم الهوية ويفترسها ببطء كي لا يصاب بالاختناق أو الغثيان؛ لهذا فهو يعمد إلى وسائل تبدو سلمية، منها التبشير بالحريات، ودمقرطة شعوب يزعم أن مفهوم المواطنة لم يتبلور فيها، وأن تشكّلها بطريركي (أبوي)، وأنماط إنتاجها تكرّس التخلف!»[٧].

دورات النظام العالمي

وضع مودلسكي التقسيم الزمني الآتي للدورات الخمس للنظام العالمي:

- الدورة الأولى (١٤٩٤- ١٥٧٩م): كانت فيها البرتغال القوة العالمية المهيمنة عندما انطلقت أساطيلها من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، ثم المحيط الهادئ.
- الدورة الثانية (١٥٨٠- ١٦٨٩م): كانت هولندا فيها القوة المهيمنة؛ إذ وصلت أساطيلها إلى إندونيسيا في أقصى شرق آسيا واحتلتها، كما احتلت عدداً من الجزر والموانئ فيما بين أوربا وإندونيسيا.
- الدورة الثالثة (١٦٨٩- ١٧٩٢م): وكانت فيها بريطانيا هي القوة العالمية المهيمنة، وكانت الحرب العالمية التي أفرزت تلك الدورة هي حروب لويس الرابع عشر.
- الدورة الرابعة (١٧٩٢- ١٩١٤م): خرجت منها بريطانيا كقوة عالمية مهيمنة مرةً أخرى، وكانت الحرب العالمية التي أفرزت هذه الدورة هي حروب نابليون بونابرت في مطلع القرن التاسع عشر.
- بدأت الدورة الخامسة الحالية عام ١٩١٤م، وجعلت الولايات المتحدة الأمريكية قوةً عالميةً مهيمنةً نتيجة للحربين العالميتين في النصف الأول من القرن العشرين[١].

[١] سعود كابلي، الحرب العالمية الثالثة (٢-٢)، صحيفة الوطن، الرياض، ١٢/١٠/٢٠٠٧م.

الاحتلال المباشر أهون من الاحتلال الناعم؛ لأنه مفهوم ومرئي بالعين المجردة، ويستنفر المشاعر القومية عبر الاحتكاك اليومي، بعكس الاحتلال الناعم

القوة في الألفية الثالثة لم تعد كامنةً في المكانة الاقتصادية والقوة العسكرية التقليدية فحسب، بل تكمن في المعرفة أساساً

لاحظ باسكال بونيفاس -مدير معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية في باريس- أن جوزيف ناي طرح مفهوم القوة الناعمة بإلحاح معاكساً تيار المحافظين الجدد الذين كثفوا استخدام القوة العسكرية الباطشة لإخضاع شعوب العالم للإرادة والمصالح الأمريكية، ومناقضاً معظم الخبراء الإستراتيجيين ممن تتلمذوا وتمّ تكوينهم على ثقافة أطلسية صارمة، فباتوا «يجدون صعوبةً بالغةً في أن ينظروا إلى العلاقات الدولية إلا من هذا المنظور الأطلسي الأحادي الأعور»(٨).

تضاعفت أهمية مصطلح القوة الناعمة أو اللينة مع استعار الصراعات المسلحة في العقدين الأخيرين؛ إذ ثبت بوضوح من خلال دراسة عدة حروب، خصوصاً حربي الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان والعراق، أن الاعتماد كلياً على استخدام القوة المسلحة، سواء في الردع أم في العمل، لم يعُدْ يلائم عالمنا المعاصر الذي تعقدت علاقاته وتفاعلاته؛ فالقوة في الألفية الثالثة لم تعُدْ كامنةً في المكانة الاقتصادية والقوة العسكرية التقليدية فحسب، بل تكمن في المعرفة Knowledge أساساً. كما أن القدرة العسكرية التي تبدو للوهلة الأولى عنصر القوة والحسم المباشر الرئيس في الصراعات الدولية ترتبط اليوم ارتباطاً وثيقاً بالقدرة التقنية التي أصبحت أهم معايير قياس القوة، وصارت حرب القيم والأفكار من أهم عناصر الصراع(٩).

تعاون الحلفاء

شرح جوزيف ناي كيف ستسيطر الولايات المتحدة الأمريكية سياسياً على العالم بفضل قدرتها الهائلة على إدماج النظم الإعلامية المعقدة، لكنه شدّد على أن القوة الأمريكية الناعمة لا تؤتي ثمارها إلا من خلال تعاون الولايات المتحدة الوثيق مع حلفائها في أنحاء العالم شتى. كما شدّد على استحالة التعامل بالقوة الصلبة مع مشكلات معاصرة ملحّة؛ مثل: تدهور البيئة، وتلوثها، ومكافحة انتشار الأوبئة؛ فهذه مشكلات تعالج باستخدام القوة الناعمة. جاء هذا في مقال كتبه جوزيف ناي بالاشتراك مع وليم جونز، ونشرته مجلة الشؤون الخارجية، موضحاً أن هذه السيطرة تبدّد مفاهيم السيادة القومية تحت وطأة الاختراق الإعلامي، وهو قوة ناعمة تستطيع أن تبسط هيمنتها بهدوء متحاشيةً المقاومة الفطرية للشعوب ضد الغزاة. نلاحظ هنا أن انتهاك السيادة الوطنية لا يقتصر اليوم على مجالات الاقتصاد والمعلومات والسياسة والإعلام، بل يتعداها إلى المجال الثقافي، والهوية الوطنية والقومية، وفرض قيم وسلوكيات ومفاهيم جديدة ونمط تفكير أحادي البعد غربي الأصول والقيم، وإعادة تخطيط ورسم شخصية الإنسان الآخر وهويته. لقد بتنا نواجه ثقافة طاغية تحاول صنع إنسان كوني تتحكم فيه القلة التي تملك المعلومات، وتوجّهها، وتنظّم دفقها عبر شبكات إيصال واتصال ضخمة تسيطر عليها. يتم هذا مع تعاظم نفوذ شبكات وشركات متعددة الجنسية يتفاقم تأثيرها، ويتزايد ضغطها هائلاً على الحكومات والمجتمعات شتى، فبات تقلّص دور الحكومات السيادي، وقدراتها القيادية، وسلطاتها التقليدية واضحاً.

مفاهيم ومصطلحات فرعية

أفرز انتشار مصطلح القوة الناعمة أو اللينة مصطلحات حديثة انبثقت منه أو ارتبطت به، غير الاحتلال الناعم الذي أشرنا إليه؛ فهناك مثلاً مصطلح (الأمن الناعم Soft Security)، الذي أطلق على الأمن الإنساني، وهو مفهوم يختصّ بصون كرامة الإنسان عبر تلبية حاجاته الوجدانية والروحية؛ تمييزاً له من أصناف الأمن الأخرى التي تتعامل مع المسائل والحاجات المادية. ويتمركز الأمن الناعم حول حاجات الناس ومصلحتهم، ويهتم



متجانساً، هما: الأمن الإنساني بوصفه مجموعة حقوق، والأمن الإنساني بوصفه مجموعة آليات ومستلزمات(١٠).

توقف جوزيف ناي لاحقاً أمام محاولة هيلاري كلينتون -وزيرة الخارجية الأمريكية- استنباط نموذج آخر للقوة في أثناء جلسة استماع الكونجرس للمصادقة على تولّيها هذا المنصب؛ إذ قالت: «ليس في وسع أمريكا الانفراد بحلّ أكثر المعضلات العالمية آنيةً وضغطاً، وليس في مستطاع العالم حلّ المعضلات نفسها بعيداً من الدور الأمريكي. وهذا ما يلزمنا باستخدام ما يسمى بالقوة الذكية المؤلفة من مجموعة من الأدوات لا تزال رهن تصرفنا». شرح ناي المقصود بهذه القوة الذكية فقال: إنها هي تلك التي تجمع ما بين القوتين الناعمة والخشنة معاً في آنٍ واحد؛ فبالقوة الناعمة يمكن تحقيق الأهداف المرجوة عن طريق الترغيب والجذب، لا الإكراه أو الشراء؛ إذ تشمل الموارد التي تتألف منها القوة الناعمة لدولة ما ثقافتها القادرة على جذب الآخرين، وقيمها، شرط ألاّ تشوهها الانحرافات والسلوكيات الملتوية، فضلاً عن سياساتها الرشيدة. أما القوة الخشنة، فباستخدامها يتم الإرغام والقسر والقهر(١١).

تستطيع أي دولة أن تغير سياساتها بأسهل كثيراً مما يمكنها تغيير ثقافتها، ومع ذلك لوحظ أن الولايات المتحدة قد أوغلت أكثر مؤخراً في المواقف والسياسات المنفرة

بتوفير الوسائل اللازمة الكفيلة بحماية مكاسب المجتمع والأفراد، وتعزيز قدراتهم، وتوسيع خياراتهم. فانطلاقاً من إدراك المفهوم الرئيس للأمن، بوصفه نقيضاً للخوف، أو تحرّراً من الخوف، يُعنى الأمن الإنساني بأمن الأفراد والمواطنين، لا أمن المجتمع والدولة بالمفهوم الواسع. وقد ازداد التركيز في الأمن الناعم أو الإنساني، القائم نظرياً على الحرية، والديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان، والمشاركة السياسية للمواطن، وحماية فرصه من التبديد، أو المصادرة، أو الاعتداء، أو الضياع، في العقد الأخير من خلال تقارير التنمية البشرية خاصةً. ويؤكد تحليل مفهوم الأمن الإنساني ركنين رئيسين له، يشكّلان مفهوماً كيانياً واحداً

تستطيع أيّ دولة أن تغيّر سياساتها بأسهل كثيراً مما يمكنها تغيير ثقافتها، ومع ذلك لوحظ أن الولايات المتحدة قد أوغلت أكثر مؤخراً في المواقف والسياسات المنفرة، خصوصاً في انصياعها للصهاينة؛ مما يشير إلى استمرار طغيان مراكز التأثير التقليدية على رسم السياسات وصنع القرارات فيها.

تحول في أولويات عناصر القوة

تعني القوة في معانيها المتعددة امتلاك عناصر ممارسة التأثير والنفوذ ووسائلها لتحقيق أهداف معينة باللجوء إلى أساليب القمع والإكراه المتاحة، أما السلطة فهي ممارسة أدوات القوة بطريقة

مشروعة. وهذا هو الفارق بين أنظمة استبدادية شمولية تعتمد على القوة القمعية، فتصادر معها كل مظاهر الحريات والحقوق المدنية والسياسية، وتفرض ثقافة الخوف والخضوع واللامبالاة والسلبية، ونظم أخرى تستند إلى سلطة شرعية تحترم الحريات والحقوق الفردية والجماعية ودور المؤسسات والتعددية وتداول السلطة سلمياً من دون أن تحتاج إلى أساليب القوة القمعية والاغتصابية والاستئصالية. وقد لوحظ أن القوة تتطور وتتحول في الإطار العالمي وفق ما عدّه بعض الدارسين والباحثين آليات قابلة لاستنباط قوانين لتطورها وتحولاتها.

تقوم نظرية (دورة مودلسكي الطويلة) مثلاً، التي وضعها وطوّرها عالما السياسة جورج مودلسكي، ووليام طومسون، على مقولة: إن قوى عظمى تتابعت منذ عام ١٥٠٠م على التحكم في النظام العالمي وفق آلية دورانية لصعود هذه القوى وانحدارها، التي لا بد من توافر شروط في كلّ منها، أبرزها التفوق العسكري والاقتصادي؛ فتبدأ كل دورة من دورات هذا التحكم بحرب عالمية يفرض المنتصر في نهايتها شكلاً جديداً للنظام العالمي والقوة المهيمنة عليه، وتستمر هذه الدورة نحو مئة عام. وباعتماد هذه النظرية ومطابقتها على زمننا نجد أن العالم قد أكمل أربع دورات كاملة، وتشرف الخامسة على الأفول.

نلاحظ أن تقسيم مودلسكي استبعد الإشارة، ولو بشكل عابر، إلى الدولة الإسلامية الكبرى التي امتدت من الصين إلى البرتغال، وظلت القوة العظمى الوحيدة في عالمنا عدة قرون!. هذا هو شأن معظم أكاديميي الغرب وباحثيه وسياسييه؛ إذ يحكمهم الجهل أو التجاهل كلما اقتربوا من تخوم الدولة الإسلامية في عصر ازدهارها[١٢]. نذكّر هنا بتشديد مؤرخين كثر على أن الولايات المتحدة لم تقدم على المشاركة في هاتين الحربين إلا بعد أن ضمنت تضعضع القوى الأوربية والآسيوية (تركيا، واليابان) التي خاضتها، وحددت المعسكر المرشح للغلبة؛ حتى تنتزع الولايات المتحدة لنفسها معظم امتيازات المنتصر بدخولها الحرب متأخرةً.

باختصار، لقد دخل عالمنا مرحلةً حُبلى باحتمالات التغيير في العلاقات وموازين القوى الدولية، من أبرز ثوابتها غروب الأحادية القطبية، وتزايد فعالية القوة الناعمة.

استنبط مصطلح الاحتلال الناعم احتلالاً سلاحه كتاب وصحيفة ومحطة تلفزة ومحطة إذاعة ومسرح، إضافةً إلى شبكات كونية للهيمنة

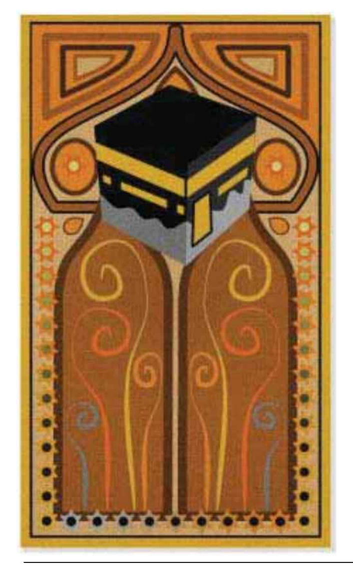
تعبير القوة اللينة أو الناعمة يشير إلى القدرة على تحقيق الهدف عبر استخدام الجذب والإقناع

الهوامش

(١) صحف، ٢٠٠٧/١١/٢٧م.
(٢) صحف، ٢٠٠٨/٧/١٧م.
(٣) القوة الناعمة في الشرق الأوسط، صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، ٢٠٠٨/٧/١٨م، ص٢٢.
(٤) Nye, Joseph S Jr.: Soft Power: The means to success in world politic. Percyas Publishing، ٢٠٠٤.
(٥) محمد الباهلي، الغزو الناعم، صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، ٢٠٠٧/١١/٢٣م، ص٢٣.
(٦) صحيفة الرياض، ٢٠٠٨/٢/١١م.
(٧) الاحتلال الناعم، صحيفة الخليج، الشارقة، ٢٠٠٨/٢/١٧م.
(٨) صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، ٢٠٠٣/٨/١٩، ص٢٤.
(٩) خير الدين عبدالرحمن، حرب احتلال العقول، مجلة الجندي، دبي، أكتوبر ١٩٩٧م.
(١٠) مهدي الحافظ، الأمن الناعم وصيانة كرامة البشر، مجلة العربي، الكويت، يونيو ٢٠٠٣م، ص٢٠، ٢١.
(١١) جوزيف ناي، تجديد قوة أمريكا الذكية، لوس أنجلوس تايمز، ٢٠٠٩/١/٢٤م.
(١٢) خير الدين عبدالرحمن، عداء الغرب للعرب: أجهل أم تجاهل؟، مجلة المعرفة، دمشق، إبريل ٢٠٠٧م، خصوصاً إصرار روبرت م. ماكيفر على عدم ذكر كلمات: إسلام، ومسلمين، وعرب، فضلاً عن دولتهم التي شملت معظم العالم القديم عشرة قرون، على امتداد كتابه الضخم The Web Of Government، المعتمد في عدد من الجامعات الغربية، ترجمة: حسن صعب، بعنوان (تكوين الدولة)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٦م.

محمود حسين مفلح

درعا – سورية



يا مكة الخير

قصيدة

يطير قلبي حتى يلثم الحجرا ... يا مكة الخير إني جئتُ معتمرا

أتيتُ من آخر الدنيا على سفرٍ ... وقد نسيتُ على أعتابك السفرا

أتيتُ ممتلئاً شوقاً وقافيتي ... طارت تُعانق فيكِ الطير والشجرا

وما وقفتُ ولا أوقفتُ راحلتي ... رغم الهواجر حتى جئتُ مؤتزرا

يا مكة الخير جُرحي ما له شَبَهٌ ... ومَنْ سواكِ لنا في المحنة انتصرا؟!

أقبلتُ معتذراً عن كلّ ناقصةٍ ... فلا تصُدِّي فقيراً جاء معتذرا

طينٌ أنا وغُواء الطين في جسدي ... لكنَّ روحيَ تأبى الطين والكدرا

إذا سلكتُ طريقي صدَّني سفهي ... وكلما حَنّ قلبي للهدى نفرا

يسطو الظلام على فجري فيطمسُهُ ... ويسطع النور في القلب الذي انكسرا

هو الصراع يقينٌ شمسه سطعت ... وباطلٌ لا يرى شمساً ولا قمرا

***

يا مكة الخير لي عهدٌ ولي ثقةٌ ... أن السلامة والعقبى لمن صبرا

يا مكة الخير كم كانت تُخدّرنا ... تلك المقولة أنّا كوننا بشرا

فلا رأينا بِمَنْ مرّوا بنا عبراً ... ولا قرأنا لمن خطّوا لنا سِيَرا

ولا أسِفْنا على عمرٍ يضيع سدًى ... ولا أبِهنا لنارٍ تقذف الشررا!!

كأن زمزم لا يُشفى بها سقمٌ ... ولا المآذنُ منها النور قد بهرا

سكِرْتُ لما رأيتُ البيت مؤتلقاً ... ويشهد الله أني لم أذُقْ سَكَرا

لكنه الحبّ قد طابت مواسمه ... وحبّ صاحب كفٍّ ترفع الحجرا

هنا أُمرِّغُ وجهي دونما حرجٍ ... وأذرف الدمع منظوماً ومنتثرا

هنا أقول: لعلّ الله يغفر لي ... ولا أشكّ بأن الله قد غفرا

أشمُّ تُربكِ ريحَ المسك ينفحني ... وأستغيثُ فيأتي غوثه مطرا

عبدالرحمن بن محمد العقيل

الرياض – السعودية

abdul9253@hotmail.com

تصوير: فاطمة عبدالعظيم الضامن

إطلالة على المكتبات الخاصة في القطيف

تعددت زياراتي إلى محافظة القطيف (الخطّ قديماً) بين شهري جمادى الأولى ورمضان من سنة ١٤٣٢هـ، ومكثت بها في زيارات عمل امتدت خمسين يوماً، موزعة بين أسبوع ثم شهر ثم أسبوعين. وقد جعلتني طبيعة تلك الزيارات أتعرف القطيف تعرفاً أزعم أنه واسع في زمن وجيز.

كان لديّ متّسع من الوقت هناك لرصد شيء مما لعلّ كثيراً من القراء يجهلونه، بعد أن تحكّمت بوقتي عندهم، وهو أمر غير يسير في مجتمع قطيفي سخيّ كريم قد يُلزمك فاضل من





فضلائه، ويجرّك إلى مأدبته جرًّا ولا فكاك، فتجد بعد ضيق الإلـزام السعادة والأنس بطيب ما رأيتَ وسمعتَ، فنشرتُ في الفيصل في عدديها ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، مادةً تحت عنوان: (القطيف: العمل التطوعي والتواصل الثقافي)، وأثنّي هنا بحديث يُجلي جانباً من النشاط الثقافي الحضاري لهذه المحافظة الجميلة، وسأثلّث بحول الله باستطلاع مصوّر شامل لمدن محافظة القطيف.

وقد ألمحتُ في استطلاع سابق إلى كثرة المكتبات الخاصة في القطيف، ثم لقيتُ أجمل ترحيب من أصحاب خمسٍ من المكتبات القطيفية الخاصـة، الـذين فتحوا لي قلوبهم قبل مكتباتهم، وتخلّصت من دعواتهم الكريمة للضيافة التي ستستهلك وقت عملي بالاحتجاج كذباً أحياناً بوجود مواعيد، ولا مواعيد وقتها، فكانوا في غاية اللطف في قبول الاعتذار، وأذكر على رأس هؤلاء فضيلة الشيخ حسن الصفّار، الذي أكرمني مراراً بإهدائي كتباً هي أعزّ عليّ من ألف وليمة، ولا ألتقيه إلا ويذكر فطوراً أو غداءً أو عشاءً، وتلك طبيعة متأصّلة فيه مع كلّ زائر، واتصل بي -جزاه الله خيراً- على كثرة التزاماته (في آخر يوم لي في القطيف من تلك الزيارة الرمضانية)، وعتب عليّ بما يشبه القول: «يعني ستذهب دون أن نقوم بواجبك»، فله أجزل الشكر؛ فقد أخذت واجبي وزيادة.

لقد وصف الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- النشاط الثقافي في القطيف في (سوانحه)، وطرفاً من علائقه الثقافية فيها، فقال: «مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، وقد حفلت في العهود السابقة بكثير من رجال العلم والأدب والثقافة. ونجد الأصفهاني صاحب كتاب (خريدة العصر) في القرن الخامس الهجري يترجم لبعض شعرائها، وكذا ابن معصوم في القرن الحادي عشر؛ فقد ترجم في (السلافة) لعدد من أدبائها وشعرائها، ومن أبرزهم جعفر الخَطّي، ولكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سُجُفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة بخلاف المهتمين بالمباحث الدينية. ولهذا فليس بدعاً أن يكون فيها بيوت علمية تُعنى بجمع

لم تعد المكتبات الخاصة حكراً على الأسر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حي من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قل الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ

العددان ٤٣٥-٤٣٦ / رمضان - شوال ١٤٣٢هـ

مدينة القطيف من مراكز الحضارة في الجزيرة، لكن عدم تدوين ما يتعلّق بالجانب الثقافي بصفة عامة فيها فيما مضى؛ لانصراف علمائها إلى العلوم الدينية البحتة، كان من الأسباب التي أضفت سجفاً على تاريخها الأدبي في العصور الأخيرة

المؤلفات في مختلف أنواع العلوم، وقد اطّلعت لدى بعض المثقفين من أهل هذه البلدة على عدد من نوادر المخطوطات؛ منها: مجلد من (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري يحوي أخبار الشعراء، وأجزاء من (الخريدة) صوّرتُ صفحات من أحدها، وبعثت به إلى الدكتور عبدالوهاب عزّام، الذي كان من المشاركين في نشر الكتاب، وعلمتُ أن هذا الجزء أهداه الشيخ خالد الفرج إلى مكتبة الشيخ محمد سرور الصبّان. ومما اطلعتُ عليه من مكتبة آل الجِشّي، وهي من الأسر العريقة في تلك المدينة، مجموعة من المخطوطات، منها نسخة قيّمة من كتاب (سلافة العصر) لابن معصوم الموسوي، وهي نسخته الأصلية، وفي طرّتها ختمه، وكتابات بخطه... وقد عجبتُ حين رأيتُ أحد أدبائها، ويدعى أحمد المصطفى، يقتني كتاب (منهاج السنّة) لابن تيمية، فقلت له مستغرباً: ألا تعرف أن هذا الكتاب يردّ على أصحاب مذهبك؟! فقال لي: أعرف هذا، ولكنني أبحث عن الحق مع مَن كان. وممن توثّقت الصلة بيني وبينه من أهل هذه المدينة: عبد رب الرسول الجِشّي، ومحمد سعيد المُسْلِم، وعبدالله بن إخوان، وعبدالله بن نصر الله، وحسن الجِشّي، وكان من ألطف مَن عرفتُ في هذه البلدة، وأوسعهم اطلاعاً على الثقافة الغربية؛ فقد أجاد اللغة الإنجليزية، حيث كان موظفاً في شركة (أرامكو)؛ مما مكّنه من مواصلة الاستفادة والاستزادة من المعرفة»[1].

لقد مضى على كلام الشيخ حمد -رحمه الله- سبعة وستون عاماً تقريباً، ومكتبات القطيف الخاصة اليوم تفوق تلك الصورة التي رآها بمراحل على الرغم من كل حالات عدم الاستقرار التي تمرّ بها هذه المحافظة. ولم تعُد المكتبات الخاصة حكراً على الأُسَر العلمية؛ فلا يكاد يخلو حيّ من مكتبة خاصة ذات قيمة، لكن قلّ الاهتمام بالمخطوطات بشكل ملحوظ، والمهتمون بها اليوم قلّة يعدّون على أصابع اليد الواحدة، ويأتي على رأسهم الشيخ حبيب آل جميع رئيس تحرير مجلة (الساحل) التاريخية القطيفية.

ولن يضر الحُسن القطيفي وجود بعض العقبات المزعجة؛ فقد سمعتُ بمكتبة في القطيف يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج(!!!)، فتملّكني الفضول بغية الوصول إلى تلك المكتبة (الكبرى)، وكان تواصلي الهاتفي المتكرر مع ابن صاحب تلك المكتبة؛ ذلك الابن الذي تعامل معي بتسويف غريب مقصود، تمنّيت معه لو قال لي: إننا لا نستطيع، ظروفنا لا تسمح بزيارة المكتبة!!. وبعد عدة اتصالات عزّت عليّ نفسي أن تحمل هذه المماطلة التي لا معنى لها؛ فعزفت عن الاتصال والتطلّع إلى تلك التي يُقال عنها: إنها من كبرى المكتبات في الخليج.

ولما سمع الشيبة المليح أبو سيبويه محمد علي الناصر شكايتي المرّة من ذلك قال قبل ولوج ثَبج مكتبته ببروده المليح: «على كل مَن يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)... فلا تقنط وتيأس وتقول هذه آخر محاولة، كرّر العودة مرّةً وأخرى: (مَن أكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له)، وإذا لم تتّخذ هذا الأسلوب فلن تعمل شيئاً. بعضهم يمتنع عن إطلاع الناس على مكتبته، ولعلّ له سبباً؛ فلا نستطيع أن نحكم بخطئه قبل أن نعرف الأسباب، لكنني أرى أن الأفضل فتح الطريق في هذا المجال؛ لأنه نشر ثقافة وتوثيق ومعرفة بالإخوان وتواصل. ولذلك اسمع مني ما يخصّني، كاد الدور الأول كله من بيتي هذا يصبح مكتبةً، وهذا الأمر اضطرّني إلى تقسيم المكتبة ثلاثة أقسام، موزّعة على ثلاثة أدوار: القسمان في الدورين الثالث والثاني لا سبيل إلى الوصول إليهما الآن حيث يفتقران إلى الترتيب، ويصعب عليّ أنا الاستفادة مما فيهما لما ذكرت لك. يبقى القسم الأول فهو مفتوح أمامكم، وعلى الرحب والسَّعة، وإن شاء الله تزورونا زيارةً خاصةً وقد رتّبنا المكتبة كلها، وأما الآن فتفضّل

يا حبيبي لما هو متاح لك، وزارتنا البركة، وزارنا الخير، ووجهك المبارك هذا نوَّر علينا اليوم واجد، تفضّل يا حبيبي».

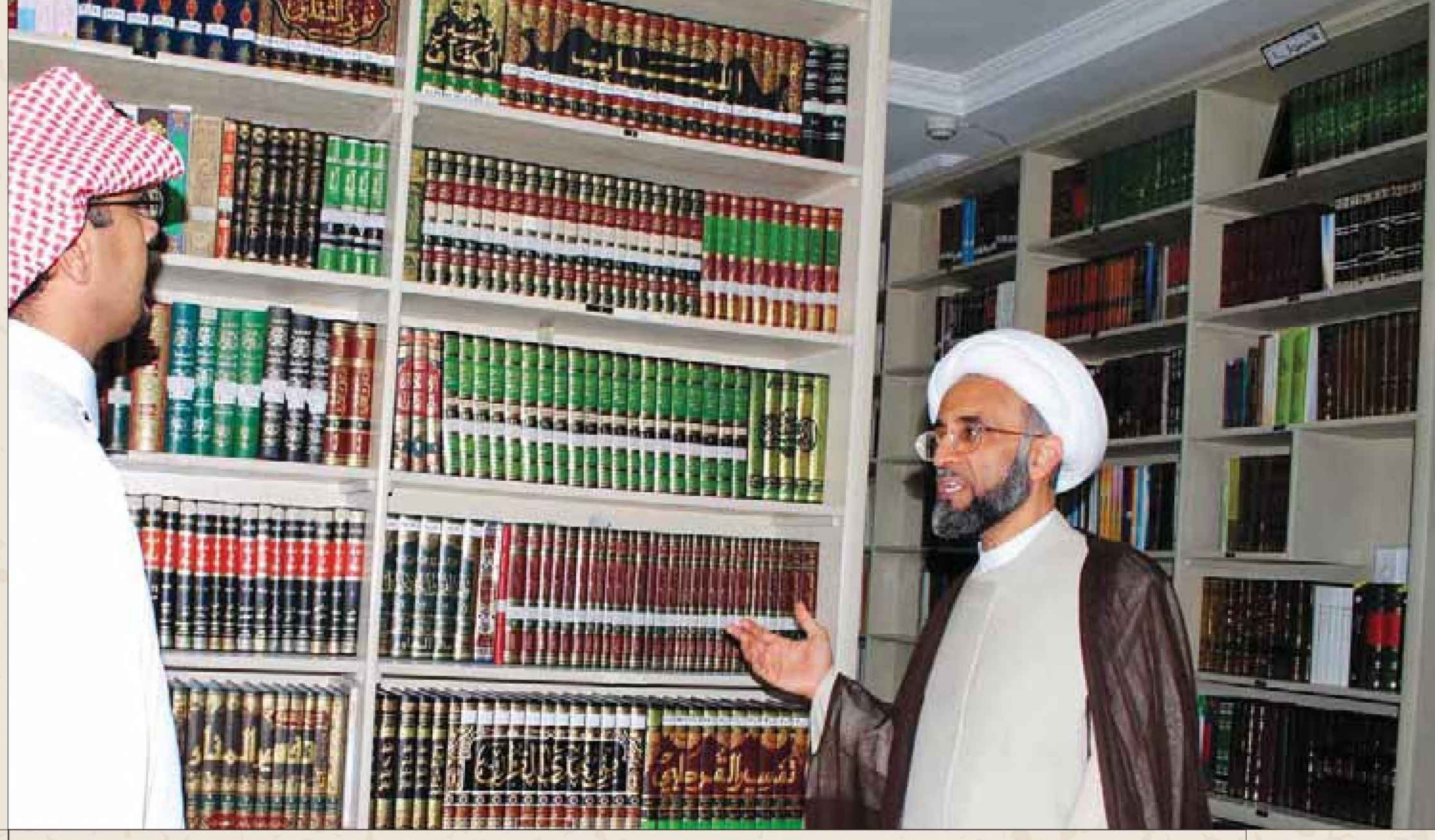
أما الصديق الخلوق عليّ معتوق الحرز، فله رأي صريح؛ إذ قال: «هناك مكتبات كثيرة في محافظة القطيف مثل مكتبتي في الحجم وأكبر، ولكنك لن تجد وسيلة للوصول إليها؛ فأصحاب تلك المكتبات تملّكهم الهاجس الأمني الذي بقي زمناً طويلاً مُضيِّقاً على الكتاب الشيعي، وما زال مستحوذاً عليهم على الرغم مما حصل من انفتاح رحب من الدولة مع الشيعة وكتبهم، ولك أن تقول: إنهم أصيبوا (بالاستصحاب المزمن)، الذي سيبقى على ما يبدو معهم إلى آخر حياتهم».

وتأكيداً لكلام الحرز أذكر حادثةً مزعجةً في هذا الشأن من زيارتي الثانية القطيف التي استمرت شهراً؛ فقد ذكر لي أحد أحبابي القطيفيين مكتبة تجارية تُباع فيها الكتب الشيعية بتاروت، وحدّثني عن تميّز كتبها، فلما وصلت إلى تلك المكتبة بعد عناء وجدتها أقرب إلى القرطاسية، فأبديت لمن يعمل فيها تعجّبي مما سمعت عن تميّز مكتبتهم، وأن لا شيء فيها يطابق ما سمعت، فقال: بل الذي سمعته صحيح، لكن في فرعنا الثاني، فوصف لي وصفاً يدير الرأس، وزوّدني ببطاقة للاتصال بهم إذا أضعت الطريق، ولما تأكّدت من ضياعي بعد وقت ليس بالطويل اتصلت برقم المحمول المدوّن في الكرت، وهو رقم صاحب المكتبة الذي يكون دائماً في الفرع الزاخر بالكتب، فسألته: هذا رقم المكتبة الفلانية؟ فردّ بالإيجاب قبل أن يلحظ غرابة لهجتي عن المنطقة، فطلبت منه تأكيد وصف الطريق؛ لأنني من خارج المنطقة، وأرغب في شراء بعض الكتب، وقد أرسلني الإخوة في فرعكم الفلاني، فقال مرتاباً متلجلج اللسان: ما الذي تريده من الكتب وأنا أختصر عليك الجهد؛ فإن كانت عندنا أخبرتك؟ قلت: لا عناوين بعينها، وإنما أريد زيارة المكتبة، وأخذ ما أحتاج إليه بالمشاهدة والفحص، وعندي قائمة نسيت إحضارها. فردّ: أنت غلطان، هذه ليست مكتبة، وأغلق الخطّ في وجهي. فأعدتُ الاتصال عليه مراراً فلم يردّ، وأدركتُ سبب تخوّفه مني!. فبقيت ضائعاً نحو ثلاث ساعات، أدركتُ بعدها أنني أدور في حيّ واحد لا أخرج منه، ولا أعود إليه، وأنا لا أدري، وظننتُ أنني أخرج من حيّ وأدخل آخر؛ لأن الأحياء متشابهة بسبب سوء التنظيم، والأنكى من هذا أنني أدور طوال الساعات وأنا على بُعد خمسمئة متر على الأكثر من المكتبة. ولما تعبتُ، وأُغلقت المحالّ، سألت أحد المارّة عن المكتبة الفلانية، فقال: بعد أول تقاطع أمامك، يأتيك على اليمين شارع صغير (زنقة) بعرض أربعة أمتار أو خمسة، ادخله تجد المكتبة على يمينك (وأكّد لي بلهجته القطيفية المليحة وتمطيطها: بِتْشُوفِتّهَا آوَّلْ ما تَدْخِل)!!. وحقًّا لما وصلت شِفْتِنّهَا وقد أغلقت أبوابها، فانتابتني حالة هستيرية، وكرّرت اتصالاتي على صاحب المكتبة لعله يرد،

وفي الزيارة الثالثة (الرمضانية) مررتُ مصادفةً بالفرع الصغير، فتوقفت عنده، ووجدتُ فيه شخصاً آخر غير السابق، فسألته: أنت صاحب المكتبة؟ قال: لا، أنا أخوه الكبير. فدار بيننا حديث طريّ، وأخبرته بفعل أخيه، فتعالت الضحكات، وبالكرم القطيفي حاول أن يسترضيني بخاتم ثمين أخرجه من خنصره ليضعه في خنصري، ولم يردَّه إلى مكانه إلا بعد أخذٍ وردٍّ وأيمان. ثم التقيت أخاه الذي ماطلني في زيارتي السابقة، وكان في غاية الفضل معي والتلطّف.

المهم، لدينا هاهنا مادة لا أدري كيف سيتّسع صدر مجلة الفيصل لنشرها مع هذا العدد الكبير من الصور، وكلّ ما هنا نتيجة زيارات وحوارات مع أصحاب تلك المكتبات الكرام، وملاحظات سجّلتها في وصف مكتباتهم الثرية، فجعلتها على هذا الشكل مراعاةً لترابط السياق في توصيف مترابط المبنى والمعنى كأنك معي في تلك المكتبات، وأجده أكثر انسجاماً وتسلسلاً من (سين وجيم).

أبو سيبويه: على كل من يريد أن يبحث عن شيء أن يتحمل، ويصبر، ويتعب، ويبذل جهداً كبيراً كما قال الشاعر: (فما انقادت الآمال إلا لصابر)



مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار

في محافظة القطيف (في مدينة القطيف نفسها) مكتبتان إن وصلتَ إليهما كفتاك عن مكتبات محافظة القطيف؛ أولاهما (المكتبة القطيفية) لصاحبها السيّد عبّاس الشبركة، وهي مكتبة متخصّصة في الكتاب القطيفي تأليفاً وتحقيقاً وترجمةً، وتضم أكثر من ثلاثة آلاف عنوان على ذلك التخصيص، وقد تحدثت عن هذه المكتبة في المقال السابق، ولا حاجة إلى إعادة الكلام[٢]. وأخراهما مكتبة الشيخ حسن بن موسى الصفّار، وهي ليست من أهم مكتبات محافظة القطيف الخاصة، بل أهمها قاطبةً، وأُولى مكتباتها؛ لعدة مزايا؛ منها: أن منشئها الشيخ الصفّار أتاحها للباحثين يرتادونها من دون الحاجة إلى تنسيق سابق على امتداد العام من الثامنة صباحاً إلى الواحدة ظهراً، ثم من السابعة إلى العاشرة مساءً، وفيها موظفون يقومون على خدمة الباحث، إضافةً إلى توفير أجهزة الكمبيوتر للباحثين، وخدمة الإنترنت، وآلات التصوير، والكتب الإلكترونية، إضافةً إلى ضيافة الباحث بالشاي القطيفي البارع الذي يُعدّ باستخدام السماور العراقي. والمكتبة أيضاً في نمو مستمر؛ إذ تتزوّد بالكتب من دون توقف، ثم المكتبة منتقاة بعناية من حيث أجود الطبعات، والشمول الموضوعي لمحتوياتها؛ فصاحب المكتبة طالب علم على ثقافة عالية، ودراية واسعة، ومتابعة مستمرة لأهم الكتب التي يختارها بنفسه، ويندب مَن يحصّلها من المكتبات داخل المملكة وخارجها. والمكتبة أيضاً

مرتّبة موضوعياً، ومفهرسة آلياً.

في مساحة كبيرة بطول الدور الثاني من مجلسه العلمي رتّبت دواليب الكتب التي ترتفع إلى السقف، وبلغ عدد الكتب يوم زيارتي إليها قرابة ١٠ آلاف عنوان، موزّعة في ١٢٦٥٨ مجلداً في جميع المجالات الدينية والثقافية والعلمية، وقد وقفتُ فيها على ما يقرب من ٥٣ تفسيراً للقرآن الكريم من تفاسير الشيعة وأهل السنة، وبعض تفاسير الزيدية والإباضية، وأكثر من ٥٦ مصدراً من مصادر الحديث الشريف، إضافةً إلى عدد كبير جداً من الدراسات الفقهية والفقه المقارن ومصادر الفقه لجميع المذاهب الإسلامية، وكتب العقائد، والسيرة، والتاريخ والتراجم، والأدب، والعلوم الاجتماعية، والثقافة العامة، إضافةً إلى الموسوعات العامة والمتخصصة والدوريات التي تصدر داخل المملكة وخارجها وتصل أعدادها إلى المكتبة بشكل دوري. ويسعى الشيخ حسن إلى تجهيز مكتبة متخصّصة للأطفال.

المكتبة مكتبة خاصة أصلاً، لكن صاحبها -كما قال- لا يؤمن باحتكار العلم؛ لذلك فهي مفتوحة لأيّ شخص من المنطقة أو خارجها يريد أن يستفيد منها طوال أيام السنة، باستثناء أيام الجمع. وقد صرف صاحب المكتبة اهتمامه في إنشائها لأجل المعرفة؛ لذلك لم يهتم بالمخطوطات والنوادر كما يقول، وإنما بقي لديه عدد قليل جداً من الكتب القديمة النادرة التي تملّكها في طفولته، منها: كتاب (البلوى في بنات حواء)، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٤/٦هـ، وهو في الحادية عشرة من عمره، وكتاب (روح الدين الإسلامي) لعفيف عبدالفتّاح طبّارة، الذي تملّكه في ١٣٨٨/٣/٩هـ. ولا تخلو المكتبة من كتب عليها إهداءات مؤلفيها من علماء شيعة وسنة.

تجوّل بنا الشيخ حسن الصفّار في مكتبته، وحدّثنا عنها وعن رحلته مع الكتاب حديثاً شائقاً، نقتطف منه قوله: «قصتي مع الكتاب والمكتبة قصة قديمة، بدأت وأنا في العاشرة من عمري سنة ١٣٨٧هـ حين أخذت في اقتناء الكتب، وتكوين مكتبة خاصة شراءً وإهداءً. ومع مرور الوقت تجمع عندي مئات من الكتب إلى سنة ١٤٠٠هـ، ثم غادرت البلاد، وبقيت هذه المكتبة في القطيف؛ فلم أجد من المناسب تجميد هذه الكتب في مكانها، فشجّعت الإخوة أن يأخذوا منها ما يفيدهم ويتملّكوه، وهكذا توزّع أغلب تلك الكتب. وحينما رجعت إلى البلاد سنة ١٤١٥هـ وجدتُ عشرات من تلك المئات من الكتب، فبدأت من ذلك العام بتكوين هذه المكتبة التي تراها. وبين سنتي ١٣٩٥ و١٣٩٨هـ كنت أتردّد على مسقط عاصمة سلطنة عمان، وأبقى فيها ثلاثة أشهر ونحوها من كل عام للخطابة والتبليغ الديني، فكوّنت لي مكتبة هناك أيضاً، وعندما تركت مسقط في آخر رحلة لي إليها في العام المذكور (١٣٩٨هـ) تركت تلك المكتبة أيضاً للشباب هناك حتى يستفيدوا منها، فكانت هي المكتبة الثانية، وتوزّعت بين شباب مسقط. وحينما ذهبت إلى إيران سنة ١٤٠٠هـ بدأت أيضاً بتكوين مكتبة جديدة ثالثة، وبقيت هناك إلى سنة ١٤٠٨هـ، ثم انتقلت منها إلى سورية، وتركت مكتبتي في إيران ليستفيد منها المشايخ هناك. وفي سورية أسّست مكتبةً كبيرةً أيضاً؛ إذ أقمتُ في ريف دمشق بين سنتي ١٤٠٨ و١٤١٥هـ في منطقة السيدة زينب، فكانت مكتبة كبيرة فيها آلاف من الكتب مفتوحة للمطالعة ويرتادها الناس، ولما عُدتُ إلى القطيف وزّعت تلك المكتبة الدمشقية على المكتبات هناك، فكانت المكتبة الرابعة. فهذه المكتبة التي نحن فيها الآن هي المكتبة الخامسة التي بدأت بتأسيسها سنة ١٤١٥هـ، وهي كبرى المكتبات التي أسّستها في سني عمري.

ليس في مكتبة الصفار تمييز بين الكتب، فتجد كتب الشيعة إلى جانب كتب أهل السنة والإباضية والزيدية؛ فليس هنا كتاب محظور أو محدود الاطلاع، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أنها في الأساس مكتبة خاصة، وليس عندي كتاب يتناول محظوراً بغرض نشر المحظور، وإنما ما نُشر بغرض الاطلاع والدراسة. ومن حق الباحثين والعلماء، ومن الواجب عليهم أيضاً، أن يطّلعوا على مختلف الآراء حتى يستطيعوا مناقشتها والرد عليها. أما إذا لم نطّلع على ما في كتب اليهود والنصارى والشيوعيين والفِرَق المختلفة فكيف نستطيع أن نناقشها؟!».

وأذكر هنا أن الشيخ حسن الصفّار عالم في طليعة علماء القطيف المعاصرين، بدأ بممارسة الخطابة سنة ١٣٨٨هـ وهو في الحادية عشرة من عمره، وألبس العمامة سنة ١٣٩١هـ وهو في الرابعة عشرة من عمره بتوجيه من الشيخ فرج العمران، وصدر له من المؤلفات حتى اليوم نحو ١١٣ عنواناً، وله نشاط إصلاحي مشهود بإشاعة روح التسامح والتعايش والتنوع الثقافي.

مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز

تقع هذه المكتبة الكبيرة، التي تضم أكثر من ٢٥ ألف مجلد، في مدينة أم الحمام، وقد بدأ مؤسّسها الأستاذ علي معتوق الحرز بجمعها وهو في الثالثة عشرة من عمره سنة ١٣٩٧هـ منذ تعلّقه بالقراءة في السير والأساطير الشعبية؛ مثل (سيرة عنترة)، وحفظ المعلقات، والاطلاع على الأدب الجاهلي.

هذه المكتبة أكبر ما رأيت من المكتبات في محافظة القطيف من حيث عدد الكتب، وقد التهمت من منزل صاحبها مساحةً كبيرةً على رفوف تمتد إلى السقف، وتضم أكثر من ثلاثين تفسيراً من أمّات التفسير السنّية والشيعية؛ مثل: تفسير ابن عاشور، وتفسير السيّد المدرّسي، وتفسير الميزان، والتفسير الأمثل الذي اشترك في تأليفه أربعة عشر عالماً من علماء الشيعة، وغيرها، إلى جانب كتب الحديث، والفقه وأصوله، وأصول الدين، والفلسفة، والعلوم الاجتماعية، والأدب، وباقي التخصصات، وفي المكتبة مجموعة من الدوريات، بعضها مما توقف، إضافةً إلى عدد من سلاسل الكتب.

ومن مقتنياته القديمة كتاب (الهيئة والإسلام) في علم الفلك لمؤلف شيعي بغدادي معمّم، اسمه هبة الدين الشهرستاني، الذي تولّى وزارة التعليم العراقية، وهذا الكتاب امتلكه سنة ١٣٩٨هـ، وهو مطبوع سنة ١٣٨٤هـ.

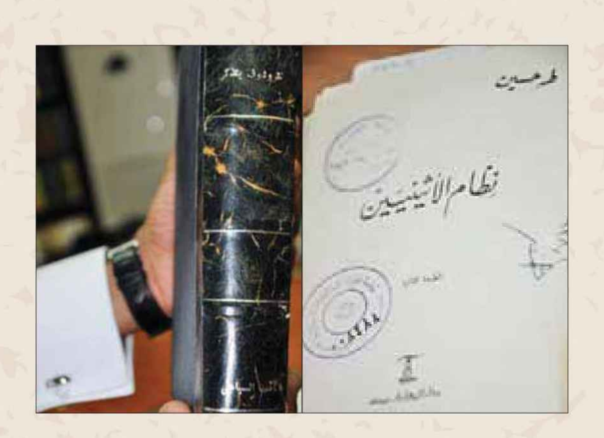
وبعض الكتب يشتريها -كما يقول- للندرة فقط؛ مثل: كتاب



المحرّر مع الأستاذ الحرز، ويرافقهما عبدالعظيم الضامن

(كشف الأسـرار المخفية في علم الأجـرام السماوية والرقوم الحرفيـة)، وهـو تحفة نـادرة مطبوع على صورته المخطوطة الملونة، على أسلوب الكتب التي كان ينشرها فؤاد سزكين، وهو بحقّ تحفة نادرة لجمال الخطّ والزخرفة المتقنة، وقد نشرته وزارة الثقافة في سلطنة عمان في طباعة ملونة.

وهنا استرسال ممتع لأبي حسين الحرز عن رحلته في شراء الكتب: «أكثر كتبي اشتريتها من معارض الكتب، وبخاصة معرض البحرين، ثم من معارض الكتب في الرياض والشارقة والقاهرة، وأشتري من سورية والأردن. والشراء من الخارج يحميك من جشع الباعة في الداخل؛ فمجموعة الأعمال الكاملة للدكتور زكي محمد حسن، الذي نشرته دار الرائد ببيروت، تُباع في مكتبة المتنبي بالدمام بـ٤٠٠٠ ريال، وقد اشتريتها وقتها من إيران بـ١٠٠ ريال!!. وكان الكتاب الشيعي قديماً -قبل تخفيف القيود عليه- يصلني إلى هنا شراءً بأضعاف مضاعفة، وأذكر أن كتاب (بحار الأنوار) كان سعره أكثر من ٨٠٠٠ ريال في السابق، واليوم يُباع بـ٣٠٠٠ ريال تقريباً، والشهادة لله أن الإعلام تغيّر في أيامنا هذه بشكل إيجابي؛ فزال كثير من المضايقات التي كانت تقيّد حركة كتبنا، ولعلّ من الطريف أن أذكر أن البحرين اليوم إذا



البداية.. سيرة عنترة

مكتبة الأستاذ علي معتوق الحرز غير متاحة للباحثين على الدوام، حالها كحال باقي المكتبات القطيفية، باستثناء مكتبة الشيخ حسن الصفار، لكن يرحّب صاحبها بمن يحتاج إلى الإفادة من مكتبته بعد التنسيق هاتفياً معه، ويأتي إليها كثير ممن يعرفهم صاحبها للإفادة منها، سواء من داخل المنطقة أم من خارجها، من الشيعة والسنّة أيضاً.

(سيرة عنترة) كانت أول كتاب اقتناه الحرز، و(جواهر الأدب) للهاشمي الذي تملّكه سنة ١٣٩٨هـ، قبل ٣٤ سنة، ولا يزال محتفظاً بتلك الطبعة القديمة، ويرجع إليها عند الحاجة على الرغم من صدور طبعات أنيقة ملوّنة منه على امتداد هذه السنوات، ويعتزّ بهذا الكتاب الذي حفظ المعلقات الجاهلية منه في عمر مبكر.

مُنع فيها كتاب يأتي أهلها ليحصلوا عليه من عندنا.

لقد تكوّنت لديّ عادة ملازمة منذ تعلّقت بالكتاب، فلا أدخل مدينة إلا ويكون من اهتمامي السؤال عن أكثر المكتبات تميّزاً فيها، ومنها مكتبات الكتاب المستعمل التي قد تجد فيها ما لا تجد في غيرها، وأحياناً الحراجات؛ فكثير من المتوفّين يكون لديهم كتب كثيرة أو قليلة، ومنها النفيس، وأحياناً يكون صاحب المكتبة من العلماء المعروفين، لكن جهل الأبناء يبدّد كتباً عزيزة في أماكن لا تليق بتلك الكتب؛ كالحراجات مثلاً، وأذكر أن العالم الحجازي أحمد السباعي -رحمه الله- بيعت كتبه بعد وفاته، ويتملّكك العجب العجاب حين تعلم أن كتب هذا العالم الحجازي (في غرب المملكة) بيعت في حراج (مزاد) الدمام (في شرق المملكة)!!. وعندي مجموعة من مكتبة الشيخ السباعي الذي كان يُعنى بتجليدها، ويكتب اسمه أسفل كعب المجلد، اشتريتها من حراج الدمام، وهذا ما دعاني إلى التفكير في وقف مكتبتي بعد موتي ليستفيد منها الناس هنا.

وأذكر شيئاً مقارباً لما ذكرتُ من عدم الاهتمام بالكتب، وبيعها في الحراجات وأرصفة الشوارع؛ فقد كنت في زيارة إلى العراق عام ١٩٩٥م، وتجوّلت بحثاً عن الكتب في مدن ثلاث، هي: كربلاء، والنجف، وبغداد، في أماكن أعرفها، فوجدت كتباً من مكتبة جامعة الكويت تُباع على الأرصفة بسعر بخس، فاشتريت مجموعة من تلك الكتب، وفي بعض بطون أغلفتها الأخيرة جيب بداخله كروت الإعارة الذي سُجِّلت فيه أسماء المستعيرين للكتاب حسب النظام المتّبع في تلك الجامعة، ومن تلك الكتب: (نظام الأثينيّين) لطه حسين، و(هذا العالم الجديد حضارة أمريكا اللاتينية).

وفي عام ٢٠١١م اشتريتُ من شارع الحجاز في دمشق، الذي ينشط فيه الباعة في بيع الكتب المستعملة في الأعياد، كتاباً عنوانه: (علم النفس الحديث)، هذا الكتاب مطبوع عام ١٩٥٢-١٩٥٣م، وتملّكه شخص لا أعرفه، ولا أظنه معروف ثقافياً، اسمه جواد عرفات، أرّخ تملّكه في ١٩٥٥/٦/٢٦م، وكتب فوق توقيعه: (التعيس لن تسعده الأيام)، وجواد هذا كان طالباً جامعياً درس هذا الكتاب في الجامعة، وقد اشتريته إعجاباً بتعليقاته وتتبّعه على كتاب كبير بهذا الحجم من الجلدة إلى الجلدة، و١٦ صفحة بخطّ يده ألحقها به تلخيصاً له.

أما المكتبات الخاصة، فإنني أشتري منها ومشاعري مذبذبة بين فرحي بنادر أقتنيه وحزن بالغ يأخذ في نفسي كلّ مأخذ عندما يتعرّض عالم لضائقة مالية تضطره إلى التفريط في كتبه (وهي روحه). وفي مكتبتي ما يقرب من ثمانين مجلداً اشتريتها عام ١٩٩٦م بنحو سبعة آلاف ريال من مكتبة ودار ابن حزم الواقعة في شارع موسى بن نصير بحي العليا في مدينة الرياض، اشتريتها من مكتبة الشيخ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري الخاصة، وأظنك تعرفه أكثر



مني. لقد بيعت تلك الكتب لظروف مالية ألّمت بالشيخ كما ذكر في إحدى مقالاته في صحيفة الجزيرة، والطريف من أمر تلك الكتب أن على بعضها تحشيات بخط أبي عبدالرحمن، وأنا اليوم نادم لأنني لم أستكثر من تلك الكتب التي عليها تعليقاته، وتلك التي عليها إهداءات إليه من مؤلفيها، وهي مكتبة متميزة جداً، فيها نوادر الكتب والمجلات؛ مثل: شعر، والأديب، والمقتطف، وغيرها كثير جداً، وكان أبو عبدالرحمن ابن عقيل يجلّد كلّ ما يدخل مكتبته من الكتب ذات الأغلفة، وهذا ما حفظها مع الزمن».

وألحف الأستاذ الحرز في إثبات حديث عن الكتاب الشيعي يتوجّه به إلى أهل السنّة (السلفيين)، يقول: الإخوة السنة يقرؤوننا من خلال بعض المنشدين، فيضخّمون من شأن هؤلاء مع الأسف، ويسمّونهم بالعلماء، بينما هناك أكثر من سبعين ألف عمامة في قم ممن أخلصوا للعلم، وأفنوا أعمارهم فيه أربعين سنة وخمسين سنة، هؤلاء لا تجد منهم عالماً يسعى في فرقة المسلمين سنّة وشيعة، ولنفترض أنه شذّ منهم ألف خرجوا

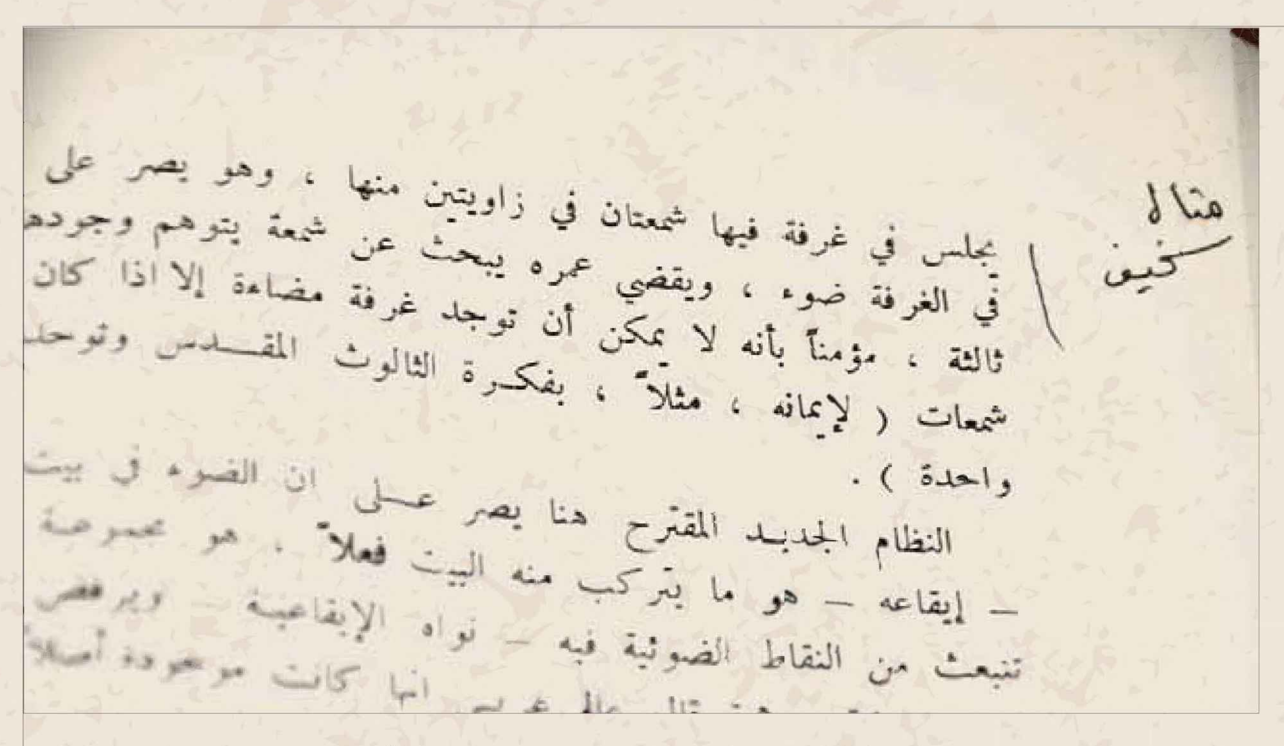
تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي) لمحمد البهي، وتوقيعه أحياناً تحت التعليق، وتأريخه بيوم ٦/٧، ونجد في إحدى التعليقات حضور ابن حزم دائماً في عقل تلميذه ابن عقيل

يجب على كل من يبحث خالصة الفكرة الإسلامية والعقلية العربية أن يدرس تاريخ ما قبل الاختلاط وهذه ظاهرة طيبة في مبحث المؤلف هذ...

الثانية

مرحلة الاختلاط

تأثير الثقافات الأجنبية على العقلية الإسلامية



مثال سخيف

يجلس في غرفة فيها شمعتان في زاويتين منها ، وهو يصر على
في الغرفة ضوء ، ويقضي عمره يبحث عن شمعة يتوهم وجوده
ثالثة ، مؤمناً بأنه لا يمكن أن توجد غرفة مضاءة إلا اذا كان
شمعات (لإيمانه ، مثلاً ، بفكرة الثالوث المقدس وتوحد
واحدة) .
النظام الجديد المقترح هنا يصر على ان الضوء في بيت
– إيقاعه – هو ما يتركب منه البيت فعلاً ، هو مجموعة
تنبعث من النقاط الضوئية فيه – نواه الإيقاعية – ويرفض
انها كانت موجودة أصلاً

تعليقات بخط أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري على كتاب (في البنية الإيقاعية للشعر العربي) للدكتور كمال أبو ديب، ولم تخلُ تلك التعليقات من الحدّة المعروف بها قلمه أحياناً؛ إذ كتب في هامش إحدى الصفحات «تفلسف تافه»، وفي أخرى «مثال سخيف»، كما يمارس التقطيع العروضي في الهوامش عند الحاجة.

عن خط الدراسة في وقت مبكر جداً، فهؤلاء لا يُعدّون في مصافّ العلماء، هؤلاء الذين يخرجون في الفضائيات يضخّم الإخوة السلفيون من شأنهم، فيقولون: «هذا عالمهم»!. هؤلاء المنشدون أقصى جهدهم أنهم درسوا (قَطر الندى وبَل الصَّدى)، وحفظوا كتاباً أو كتباً في (العزاء الحسيني)، واعتلوا المنابر باسم الشيعة للإساءة إلى الشيعة قبل السنّة؛ فهؤلاء لا يمثّلون الشيعة، ولا نعترف بهم؛ فعلماؤنا تربّوا علمياً على عدم الإساءة.

وأخيراً، أشير إلى أن (بحار الأنوار) للمجلسي فيه روايات ضعيفة وموضوعات وخرافات، ونحن الشيعة نعرف ذلك، وقد جمع فيه المؤلف الأحاديث من دون اهتمام ببيان الصحيح من غيره، ومنه يستقي السلفيون تلك الروايات، ولا يعنيهم مع الأسف النظر في كتاب (مشرعة الأنوار) للشيخ محمد آصف محسن، الذي بيّن الصحيح والضعيف في (بحار الأنوار) من أوله إلى آخره، و(ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار) للمجلسي؛ فهو شرح لكتاب الطوسي (تهذيب الأحكام)؛ إذ يأتي في (الملاذ) بالحديث ويقرؤه سنداً ومتناً، ويحكم عليه بالصحة أو الحسن أو الضعف، و(مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول) للمجلسي، وهو شرح لكتاب (الكافي)، ويبيّن صحيح الرواية من ضعيفها. والمؤسف أن معظم السلفيين لا يلتفتون إلى مثل هذه الكتب، لكن يتصيّدون من (بحار الأنوار) الروايات الشاذة، ويقولون: «رأينا في بحار الأنوار».

مكتبة أبي سيبويه محمد علي الناصر ومتحفه

أبو سيبويه هو أحد خطباء مدينة القديح، بدأ الخطابة سنة ١٣٨٢هـ تقريباً وهو في السابعة عشرة من عمره، يأسرك بحلاوة منطقه، وفصاحة لسانه، وكثرة محفوظه؛ فلا تملّه. شغلته هواية جمع التراث عن طباعة أكثر من ثلاثين كتاباً مصفوفة من مؤلفاته، يذكر منها: أعلام القديح، وتاريخ القديح، الذي عمل فيه أكثر من خمس وأربعين سنة في جمع تاريخ هذه المدينة من الكتب وصدور الرجال، وقد عرض عليه بعض الفضلاء طبع كتبه، ومنهم السيّد عبّاس الشبركة صاحب المكتبة القطيفية، الذي عرض عليه تحمل تكاليف طباعة كتبه كلها، إلا أنه متروٍّ في مسألة الطباعة، راكن -كما يقول- إلى مقولة برتراند راسل: «لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده».

استقبلنا أبو سيبويه في مجلس يفتح على الشارع مباشرةً، وفي ذلك المجلس قطع آثارية (بخاصة الساعات) تقدّر قيمتها وباقي محتويات المجلس بأكثر من أربعمئة ألف ريال، وقد دخلنا ذلك المجلس وبابه موارب، وكذا في باقي الغرف الغاصّة بالتحف الثمينة، والمصاحف القديمة والحديثة، ومخطوطات الكتب، من دون تأمين (ولو بطفاية حريق واحدة).

ولما سألته: ما الخطوات التي اتخذتها للحفاظ على مكتبتك وتحفك بعد موتك؛ حتى لا تذهب نهباً بيد مَن لا يعرف قيمتها؟ قال: سأعدّ لها مكاناً منفرداً. فقاطعته: أنت

تضم مكتبة أبي سيبويه الواقعة في مدينة القديح أكثر من ثلاثين مصحفاً، يصل سعر بعضها إلى أكثر من ثلاثين ألف ريال أو أربعين، ولعل أبا سيبويه من الأقلاّء الذين يهتمون باقتناء المصاحف القديمة والمخطوطات في المنطقة، ويفسّر العزوف عنهما بأنه قبل ثلاثين سنة كانت المخطوطات متوافرة، وكان المصحف يأتي من تركيا، وتصل قيمته بالكثير إلى سبعة آلاف وخمسمئة ريال، وكانت المبايعة أيسر من اليوم؛ فالمبتلى بحبّ المخطوطات والآثار إذا ضاقت ميزانيته عن الشراء نقداً يشتري بأقساط، وتغيّرت الأحوال اليوم تحولاً كبيراً. ومن المصاحف التي يمتلكها أبو سيبويه:

- مصحف مذهّب كُتب في قصر الملك العثماني، كتبه الفقيه الحاج السيّد عثمان، المعروف بصادق الشوفي القادري، كاتب السراي السلطاني حالي بوستشين سنة ١٠٩٠هـ.
- مصحف مذهّب في آخره: «أُمرتُ بكتابة هذا المصحف الشريف من طَرَفِ السلطان المحمود في الآفاق، خليفة الله الملك الخلاق، أبي الفتوح والمغازي، السلطان محمود خان الغازي... في شهر جمادى الآخرة لسنة ستٍّ وأربعين خلت من هجرة خاتم النبيين، وأنا أضعف الكتّاب وأحوجهم إلى المغفرة السيّد الحاج محمد المعروف بشَكر زاده».
- مصحف مغربي في محفظة جلدية كبيرة خاصة به معدّة لأن تكون كل صفحة من المصحف منفردة ورقةً ورقةً من دون جمعها معاً.

لا تأمن عمرك ولو ساعة، هل جعلت وصيةً أو وقفاً؟ قال: أريد أن أجعل لهما مكاناً خاصاً، ولا يباع منهما شيء، وقد حفزتني بكلامك إلى التعجيل بهذه الخطوة.. أنا لا أطمئنّ إن لم يبقَ تراثي عندي، وقد عُرضت عليّ عروض كثيرة من أناس جزاهم الله خيراً قالوا: هات مكتبتك وتراثك ونحن نوفّر لك مكاناً مناسباً لحفظه.. ولم أقبل؛ فأنا كما ذكرتُ لك لا أطمئن إلا وكتبي عندي، وأنا أعمل على تجهيز مكان في بيتي هذا يكون متحفاً ومكتبة.

بدأ أبو سيبويه بجمع الكتب والقراءة في الخامسة عشرة من عمره، يعني سنة ١٣٨٠هـ تقريباً. ومن أقدم ما اقتناه من الكتب مجموعة من مصنّفات الخواجة نصير الدين الطوسي من مطبوعات حيدر آباد سنتي ١٣٥٨ و١٣٥٩هـ.

ومكتبته موزّعة على أدوار بيته الثلاثة، التي تختلط فيها طوابع البريد بالمتحجّرات من أشجار، وأسماك، وقواقع، وحشرات صغيرة، وتماثيل، وغير ذلك من التحف، إضافةً إلى الكتب التي يصل عددها إلى نحو عشرة آلاف مجلد. والغريب في أمره أن شراءه الكتب من الداخل، ولم يسبق أن سافر لشراء كتب من خارج المملكة، فينتهز فرص وجود معارض الكتب في الظهران، ثم الرياض، وفي زياراته الحرمين الشريفين.

وفي هذا الإطار يقول أبو سيبويه: من عاداتي القديمة الملازِمة لي (المقايضة)، أو سمّها هواية، ولم أعرف في حياتي بيع شيء من مكتبتي ولا تراثي مهما كانت ظروفي، وقد أفادتني كثيراً في تكوين هذه المكتبة والمتحف كتاباً بكتاب، أو أعطي كتباً وأحصل على تحفة، ولا أقايض إلا فيما يستحقّ، وقد مرّ عليّ



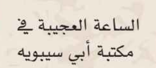
زمن آخذُ تحفاً وتراثاً وأعطي كتباً؛ فالكتب ممكن أن تعوَّض، وقد مرّ زمان علينا كانت فيه الورقة من كتاب أعزّ من الكبريت الأحمر، وقبل ثلاثين سنة وأكثر توافرت الكتب وزالت الندرة.

ويقول بشأن استقبال الزوّار في متحفه، وإعارة كتبه: «هذا قليل جداً، وقد بذلت كتبي إعارةً لمن أثق بهم، لكن كان كقول أبي الطيّب:

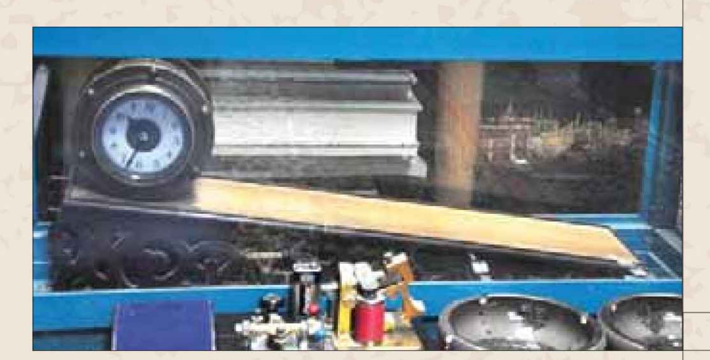
وصرت أشكّ فيمن أصطفيه

لعلمي أنه بعض الأنام

فمن أخذ من كتبي إعارةً لم يُعد ما أخذ مع الأسف الشديد، وقد استعار أحدهم من عندي كتابين عن العراق وحكوماتها، ومضت سنة ونصف السنة ولم يُعدْهما بعد، وسألته عنهما، فكأنه يخاطبني بلا سمع ولا بصر، فأصبحت أخاف من الإعارة. وعلى الرغم من هذا الموقف وغيره ما زلتُ أرى أنه ليس كل الناس سواءً؛ فإذا وجدت من أثق به من المقربين أو الأبعدين فلن أبخل عليه على الرغم من تجاربي السابقة في



الساعة العجيبة في مكتبة أبي سيبويه



فَقْد الكتب في الإعارة».ومن المخطوطات الأصلية عنده:

- شرح حكمة العين، لشمس الدين مبارك شاه البحراني، في ١٤٨ ورقة من ورق أشبه بالرّق الصقيل، بالحرف الأسود ورؤوس موضوعاته بالحبر الأحمر، كتبه السيّد خضر بن جميل العطّار للسيّد محمود الآلوسي الشافعي (مفتي بغداد، صاحب التفسير)، وفرغ من كتابته في ٢٨ رمضان سنة ١٢٣٧هـ. هذا المخطوط كان ببغداد، وانتقل إلى نيويورك، واشتراه أحدهم من هناك، ثم اشتراه أبو سيبويه منه.
- تتمة الحواشي في إزالة الغواشي، شرح الجلالي على العقائد العضدية.

لقد كانت زيارتي قصيرة جداً لعاشق التحف محمد علي الناصر (أبي سيبويه)؛ فلم تكفِ عرض كلّ مقتنياته أو أهمها، فكانت نظراتي عشوائية مذبذبة أردتُ أن أسأله عن أشياء كثيرة، لكن الوقت لم يسعفنا، فضلاً عن حرارة أغسطس والرطوبة الخانقة وقتها؛ لذلك توقفنا وقفات يسيرة مع بعض التحف الأثرية[٣]:

- ساعة أثرية لا اسم لها عند صاحبها، وقد سمّيتها (ساعة المنحنى). هذه الساعة حاول شراءها من أبي سيبويه مدير أحد البنوك -كما ذكر لي- قال له: «تريد فيها خمسين أو ستين أو سبعين ألفاً سأعطيك»، وأردف: «أنا دارس للفيزياء، ولا أدري ما التقنية التي استُخدمت في صُنع هذه الساعة». فاعتذر له، وهي عنده من أثمن التحف.

ثم أخذ في وصف هذه الساعة مستمتعاً بوصفها: «الساعات عادةً لتعمل إما أن تشحن بالكهرباء، وإما أن تكون فيها بطارية، أو يكون فيها مفتاح للتتريس (الشحن اليدوي). وهذه الساعة مصمتة لا شيء فيها من ذلك، إنها ساعة دائرية الشكل تُوضع في أعلى منحدر مخصّص لها، ومن الثابت فيزيائياً أن أيّ شيء دائري (أو كروي) تضعه في أعلى أيّ منحدر أملس (سواء من زجاج أم من خشب أم من حديد) فإنه ينحدر بسرعة، لكن هذه الساعة ما إن تضعها في أعلى منحدرها فإنها ستعمل (ولا تعمل إلا وهي على المنحدر المخصّص لها)، وتبدأ بالانحدار تدريجياً بشكل غير ملحوظ كأنها ثابتة إلى أن تصل إلى أسفل المنحدر ويوقفها حدّه، أو

يوقفها أيّ شيء يمنعها من الانحدار؛ فهي تعمل بحسب طول المنحدر، وكلما طال المنحدر طال الزمن الذي تعمل فيه، ليوم أو يومين في منحدرها الذي يصل طوله إلى ٥٠سم، أو لسنة أو سنتين تبعاً لطول المنحدر، وتتوقف بمجرد أن يردّها شيء، أو ينعدم الانحدار، أو ترفعها بيديك. فهذه الساعة تعمل عقاربها اعتماداً على حركة الساعة نفسها».

- العصا القاجارية: هي عصا مصنوعة من العاج في ١٢٧٩/٢/١٢ شمسية، رُسم عليها بنحت بديع جميع الملوك القاجاريين وبعض النساء بيد الفنان الفارسي بيمان بنجارا برسال، اشتراها أبو سيبويه قديماً من متحف في الدمام بثلاثة آلاف ريال.
- الخاتم التاروتي: وهو خاتم على شكل رأس ماعز، وعيناه من الفيروز، وهو مستخرج من الحفريات القديمة في جزيرة تاروت.
- قنينة زجاجية حمراء من العهد الفاطمي اشتراها من العراق قبل أكثر من عشرين سنة.


عصا الملوك القاجاريين



مكتبة الشيخ عبدالحميد الخطّي

الشيخ عبدالحميد الخَطّي -رحمه الله- قاضي القطيف مدة سبع وعشرين سنةً، من سنة ١٣٩٥هـ حتى وفاته سنة ١٤٢٢هـ، وهو رائد الشعر القطيفي المعاصر، له مجموعة دواوين مطبوعة، وكان رجل علاقات واسعة، وتواصل دائم مع المثقفين والأدباء شيعةً وسنّةً، مسلمين ومسيحيين.

أوقف الشيخ مكتبته الواقعة في مدينة القطيف وقفاً عاماً سنة ١٤٢١هـ، وجعل القيّم عليها زكي بن عبدالكريم الخنيزي - زوج ابنة الشيخ عبدالحميد وابن عمه - «على أن ينتفع بها المؤمنون قراءةً يومي الخميس والجمعة، ويكون ذلك بحضور الولد البار زكي بن الشيخ عبدالكريم الخنيزي، والاستعارة ممنوعة، وذلك قربةً لله تعالى قابل القربات، ومضاعف الحسنات، وغافر السيئات، ويكون ذلك وقفاً مؤبّداً حتى يرث الله الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين، وحرّر في يوم الاثنين ١٤٢١/١٢/٢٣هـ».

استقبلني الأستاذ علي بن زكي بن عبدالكريم الخنيزي (ابن القيِّم على مكتبة الشيخ عبدالحميد)، والأستاذ جهاد الخنيزي، وتفضّلا بإطلاعي على مكتبة تضمّ نحو ٢١٦٥ مجلداً، أغلبها من نوادر الكتب.

والمكتبة متاحة للروّاد من العصر إلى المغرب يومي الخميس والجمعة، وتُتاح بأوقات أطول استثناءً للباحثين المتخصّصين ولو

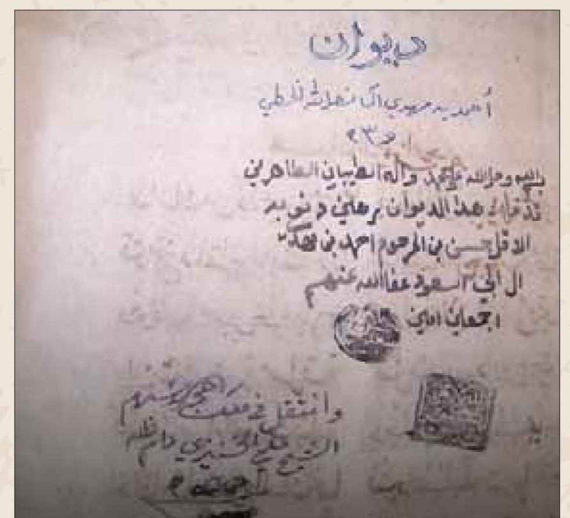
أهم مقتنيات مكتبة الخطي نسخة مخطوطة أصلية من (ديوان الحاج أحمد الخَطّي آل نصر الله)، ولم يطبع هذا الديوان بعد، ويقع في أربعة مجلدات كبار، ويعود تاريخ المخطوط إلى سنة ١٣٢٨هـ، وخطّه جميل جداً بخط ناسخه منصور بن علي بن عبدالرحيم بن علي بن عبدالرحيم آل حجّي أهل سيهات، وعليه تملّك كُتب فيه: «قد مَلَكَ هذا الديوان رهين ذنوبه الأقل حسن بن المرحوم أحمد مهدي آل أبي السعود غفر الله عنهم أجمعين»، وتزوّدت أسرة آل نصر الله بصورة من هذه المخطوطة.

- طبعة حجرية لأحد الكتب الفقهية للطوسي شيخ الطائفة، دخلت في مُلك الزعيم علي بن حسن علي آل الخنيزي القطيفي الخَطّي سنة ١٣١٨هـ، ثم لعبدالحميد الخَطّي في ١٨/٩/١٣٨٨هـ.

وأكثر من هذه الكتب ندرة مجموعة من الكتب التي درسها عبدالحميد الخَطّي في شبابه، ويعود تملّكه لبعضها إلى سنة ١٣٥٥هـ، ومنها:

- طبعة حجرية من (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن





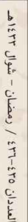
في باقي أيام الأسبوع، ولا إعارة للكتب تنفيذاً للوقفية. والحقيقة أن الوقت المذكور ضيّق جداً لا يفي بالغرض من الوقف، ولعله لهذا لم أجد لدى القطيفيين ذكراً واسعاً لهذه المكتبة.

والمكتبة متنوعة، وتضم مجموعة من نوادر الكتب والمطبوعات الحجرية كما ذكرتُ، ومن تلك الكتب:

- طبعة حجرية من (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) ليوسف البحراني، تملّكها في ١٣/٩/١٣٦٣هـ.
- طبعة حجرية من (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) في الفقه، لمحمد حسن الجواهري النجفي، وقد حازها عبدالحميد الخَطّي في ٢٣ جمادى ١٣٦٤هـ.

هشام، دخل في مُلكه في ١٧ شوال سنة ١٣٥٥هـ.

- طبعة حجرية من (شرح النظّام في علم الصرف) للحسن بن محمد النيشابوري، تملّكها عبدالحميد الخَطّي سنة ١٣٥٦هـ إهداءً من والده علي الخنيزي، الذي تملّك الكتاب أصلاً سنة ١٣١١هـ. ودرس عبدالحميد (شرح النظّام) في النجف التي بقي فيها ثماني سنوات للدراسة.
- (شرح ألفية ابن مالك) لابن النظّام، تملّكه في ١٣٥٧/٢/٣هـ هبةً من والده في النجف الأشرف، وهو مطبوع سنة ١٣٤٢هـ.
- (المطوَّل على التخصيص) للتفتازاني، تملّكه في ١٣٥٨/١٢/٢٠هـ.



مكتبة الشيخ عبدالقادر أبو المكارم (مكتبة الإمام محمد بن الحسن)

تفصح كلمات الشيخ عبدالقادر أبو المكارم وملامح وجهه عما في قلبه من سماحة وطيب، وهو اليوم في السبعين من عمره، وقد فَقد والده وهو في الثانية من عمره، فانتقلت العناية به إلى أخيه الأكبر الشيخ سعيد وأخواله.

لقد بدأ عشق أبي المكارم الكتاب في سنة ١٣٧٩هـ وهو في السابعة عشرة من عمره؛ إذ نشأ في أسرة علمية كان لها أكبر الأثر في نفسه في الاتجاه إلى الكتاب؛ فوالده طالب علم معروف وصاحب منبر. وكان أثر أخويه الكبيرين الشيخ عبدالمجيد والشيخ سعيد في حياته الثقافية كبيراً جداً؛ فبدأ بتكوين مكتبة في مدينته العوامية تضم قرابة ٥٠٠٠ عنوان، وأتاحها لكلّ مستفيد، ونصب ميكروفوناً على بيته وأعلن منه: «مَن أراد أن يستعير كتاباً ينتفع به في دينه ودنياه وأخراه فليأتِ منزلنا»، فكان أول من يضع الميكروفون على منزل في العوامية.

وتعدّدت رحلاته لشراء الكتب من مكتبة المتنبي في الدمام، ومن مكة والبحرين وسورية والعراق، وتولّى وكالة توزيع بعض الكتب في القطيف التي تصله من الخارج، ومن ذلك كتب سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) التي كانت تصدر في كربلاء قبل حكم صدام، وهي سلسلة كتب علمية ثقافية تبحث في الشؤون الإسلامية، فتصله كتبهم لتوزيعها في المنطقة، وفي مكتبته اليوم مجموعة من أقدم الكتب التي يمتلكها من سلسلة (منابع الثقافة

الإسلامية)، وتعود سنوات تملّكه إياها إلى سنوات صدورها في سنوات ١٣٨٣ و١٣٨٤ و١٣٨٥هـ.

وكان من هوايات عبدالقادر أبو المكارم المبكرة تسجيل الخطب والمحاضرات والزواج والتأبين؛ حتى كوّن لنفسه مكتبة سمعية جيدة، ومن تلك التسجيلات محاضرات قديمة للشيخ محمد أمين زين الدين الأحسائي، والمرجعين الشيرازي والخاقاني، والشيخ فرج العمران، وغيرها مما كان يسجّله بنفسه. ويعمل الأستاذ عدنان أكبر أبناء الشيخ عبدالقادر على تحرير تلك المحاضرات في كتاب بعنوان: (مكتبة أبي عدنان السمعية).

هذه إطلالة يسيرة على بعض المكتبات القطيفية الخاصة التي استطعت الوصول إليها، ولأصحاب تلك المكتبات أجزل الشكر على استقبالهم الكريم إياي على ضيق أوقاتهم حينها، ولا أنسى الفنان التشكيلي عبدالعظيم الضامن وابنته فاطمة، اللذين أسعداني برفقتهما في تلك الزيارات، وأتمنى أن يتصدّى أحد الأحبة القطيفيين لعمل ميداني توثيقي في كتاب يرصد المكتبات القطيفية الخاصة مشاهدةً فاحصةً وليس بالسماع، وهي كثيرة تستحقّ العناء، ومثله آخر للمتاحف القطيفية الخاصة؛ فأهل مكة أدرى بشعابها.

مصادر المدائح النبوية

من أهم مزايا مكتبة عبدالقادر أبو المكارم أنها تضم مصادر المدائح النبوية التي جمعها أبو المكارم من بطون الكتب، وأكثر من أربعمئة شريط (كاسيت) تضم مدائح نبوية بأصوات شعرائها بالتلقّي المباشر منهم، ومن طريق الإذاعات، ومن هذا كله أخرج أبو المكارم موسوعة كبيرة عنوانها: (موسوعة المدائح النبوية) في عشرين مجلداً، وقد استغرق العمل في هذه الموسوعة أكثر من ثمانية عشر عاماً من العمل الشاق.

يقول أبو المكارم عن جمعه المضني مادة كتابه (موسوعة المدائح النبوية): «لم يكن بحثي مقتصراً على الكتب والدواوين فقط، بل تعدى إلى الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز. ولقد فكّرت مراراً في الاستمرار بالجمع، لكن تشجيع الإخوة الأحبة الأعزة الذين كانوا يسألون دائبين أن أخرجه إلى حيّز الظهور دفعني وحفزني إلى ختم الكتاب وجعله إلى هذا الحد، وإن كان في العمر بقية، وحصلت على المزيد من المديح، الذي لا ينتهي ما دام هناك عرق ينبض بالحب في قلب كلّ شاعر لنبيّه نبي الرحمة، فسأقوم بوضعه في كتاب ملحق إن شاء الله العليّ القدير».



الحواشي

(١) من سوانح الذكريات، ٧٩٦/٢، ٧٩٧.

(٢) انظر: مجلة الفيصل، العددين ٤٢٣- ٤٢٤، رمضان- شوال ١٤٣٢هـ، ص٢٦-٣٧.

(٣) بسبب هذه التحف ضيّع عليّ أبو سيبويه إفادته بشأن اسم (مضر) الذي يلفّ مدينة القديح لفًّا؛ فيندر أن تجد محلاً تجارياً بمختلف أنواع التجارة لا يحمل اسم (مضر)، وكذلك مستوصف مضر، ونادي مضر، وجمعية مضر، وغيرها. فلعلي أدعوه هنا إلى إفادة عامة لقرّاء الفيصل، وله منظومة في هذا الشأن حسبما سمعتُ.



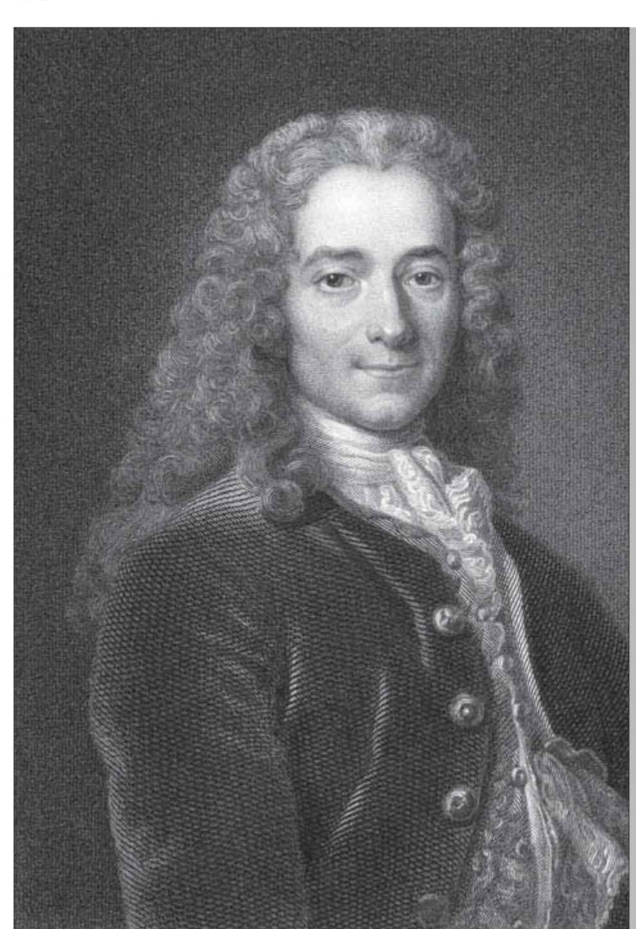


من التنازع والاختلاف إلى التناغم والالتقاء

محمود عبدالعزيز راضي
البحيرة – مصر

ظلّت العلاقات الإسلامية الغربية على مر الحقب والعصور تتعاورها صعوبات شتى ومتغيرات جمة، وكلّ هذا طرأ نتيجة تمركز الغربيين حول الذات وتمحورهم حولها، ومن ثم كانت مظاهر الاختلاف والتوجه الديني والفكري بين الإسلام والغرب حاضرةً تمام الحضور في كلّ عصر ومصر، مستمدة قوتها من تلك الأسس والمبادئ والأصول التي جاءت بها تلك الشرائع على الرغم مما طرأ على معظمها من تحريف وتبديل ودس وتزييف.

فولتير



تعامل الغربيون مع الإسـلام منذ مجيئه بخطط تشويهية فاسدة، ومناهج عقيمة متخبطة، بدايةً من ذلك الفرمان الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول، الذي تربّع على عرش البابوية عام ٤٩٢م، بمنع تداول إنجيل برنابا الذي عُدّ من أصحّ الأناجيل وأوثقها؛ أي: قبل مولد نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُلد عام ٥٧١م، بما يقرب من ثمانين سنة، مروراً بالحملات الصليبية حتى معطيات القرن الحادي والعشرين، وأهمها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وغزو العراق وأفغانستان، وتفعيل الفوضى الخلاقة لتمرير المخططات الغربية، وتنفيذ الأجندات الجديدة، ومنها الشرق الأوسط الجديد.

تنبّه الغربيون إلى أن هذا النهج -الخيار العسكري- الذي احتذوه في تعاملهم مع الإسلام لم يكن الطريق المثلى في تصوّرهم حسبما يظنون؛ إذ أثبتت التجارب إخفاق هذا الخيار في وقف زحف الإسلام، وتمدّده، والنيل منه ومن رموزه ومقدساته. وكان لإدراك الغرب إخفاق المجال العسكري في وقف قوة الإسلام أثر في إعادة بناء التوجهات ورسمها، ووضع الآليات الكفيلة بوقف زحف المارد العملاق تجاه الغرب، ومن ثَمّ جهزت فرق الأكليروس ومغاوير الاستشراق لتسطير الخرافات، ونسج الأساطير، وإشاعة المغالطات عن كلّ ما يمتّ إلى الإسلام بصلة في البورصة الغربية. وكان الراهب الدومنيكاني رامون مارتي Ramon Marti[١] صاحب (الإدانة الرباعية) مصيباً في قوله الذي بيّن من خلاله الهدف من اشتغال الغربيين بعلوم الإسلام وآدابه وتاريخه ورموزه ومقدساته؛ إذ قال: «إنهم لا يكتبون لكي يفهموا، بل ليدينوا!!»[٢]. وما أكثرها من إدانات استحدثت تحت حرية الفكر والبحث، وما أغربها من شبهات افتعلوها وهي بعيدة كلّ البعد من سياق الحقيقة وواقعية التاريخ!.

بالكلمة لا بالسلاح

لم تكن كلمات الراهب رامون مارتي الآنفة الذكر الشرارة الأولى والأخيرة التي حددت ملامح التعامل الغربي مع الإسلام عقيدةً وحضارةً، بل وُجدت آراء وأقوال أخرى بيّنت معايير التمثّل الغربي للإسلام وكيفيته؛ فقد كان بطرس المبجّل يؤمن بحتمية الصراع مع المسلمين، إلا أنه كان يفضّل أن يكون هذا الصراع

عماده وقوامه الكلمة بكل ما تحمل من معاني تشويهية وتحريفية تجاه الإسلام، وليس السلاح، يقول: «بالكلمة وليس بالبغض والكراهية»[٣] كما كان يعتقد النصارى في القرون الأول. لذا لا غرو أن يسطّر الشاعر الاستعماري الشهير كبلنج كلمات مفعمة بالحقد والكراهية، رافضاً فكرة الالتقاء والحوار الحضاري، عندما يقول: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا!!!».

في مقالنا هذا لن نعرّج على مراحل الصراع الممتدة بين الإسلام والغرب على مرّ التاريخ؛ فقد أغنتنا المكتبة العربية الإسلامية بكثير من البحوث والدراسات التي تسعف في استكناه هذه العلاقات المتذبذبة والمتغيرة من آن إلى آخر، وإنما أردنا وحياكة التصورات الخاطئة عن الدين الإسلامي. إلا أن فريقاً آخر ساهم في هذه البورصة الغربية التشويهية، وهو فريق الأدباء، الذين قلما انتبه لهم أحد من الباحثين في عالمنا العربي والإسلامي، أو وقف على أهدافهم وخباياهم.

لقد أدى أدباء أوربا دوراً كبيراً في تشويه الإسلام وسيرة خير الأنام محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم منذ أن ضربوا بحظّ وافر بالمشاركة في هذه (المهمة المقدسة)؛ فقد استفزّ انتباههم هذه القوة التي يتمتع بها الإسلام، وأقلقهم هذا التمدد الزاحف الذي طالما استلفت الانتباه بمرور الأيام وتوالي الأعوام. إلا أن مشاركة الأدباء اختلفت عن مشاركة رجال الأكليروس والاستشراق

فولتير كان يتفاخر بهذه النزقات الأدبية الصبيانية التي أسقطها على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم رغبةً في الشهرة والتزلف إلى الملوك والرؤساء في عصره

التذكير بماهيتها ومراميها وامتداداتها. والذي نرمي إليه هنا في هذا المقال هو تناول التأثير السلبي لأدباء أوربا في الإسلام، متخذاً من الفيلسوف والأديب الفرنسي الشهير فولتير أنموذجاً لأدلّل على تركة رجال الأدب السيئة والفاسدة على الإسلام ورموزه.

المهمة المقدسة

المتتبّع العلاقات الإسلامية الغربية يجد أن الغربيين هيؤوا من أجل تشويه الإسلام وسيرة خير الأنام رجال الأكليروس والاستشراق، وكان هذا الاختيار موفقاً بالنسبة إلى الغربيين؛ فقد عمل هذان الفريقان على رفع أسهم هذه البورصة من خلال تداول الشائعات، واستنبات الشبهات ونشرها، واجتهدوا في تحقيق أعلى معدل لمؤشراتها التشويهية عبر تسطير الخرافات والخزعبلات عن الإسلام وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وكافحوا بكلّ ما أوتوا من قوة في توجيه المطاعن،

مرحلتا فولتير

عاش فولتير مرحلتين من حياته في تعامله مع الإسلام: المرحلة الأولى عاش خلالها يشوّه في الإسـلام وسيرة خاتم الأنبياء، ضارباً بحظّ وافر كسائر رجال الأكليروس والاستشراق في المهمة المقدسة؛ مهمة التزييف والتجهيل والتحريف. وفي فلك هذه الدائرة اتّخذ فولتير من الإسلام وسيلةً للشهرة واكتناز الثروة من خلال التغني بالإسلام أمام جماهير أوربا المتلهفة إلى سماع كلّ ما هو سيئ. والمرحلة الثانية أدرك فيها فولتير مع بلوغه من الكبر عتياً أنه لا مفرّ من الاعتراف بالحقيقة، ومع نضوجه واطّلاعه البنّاء على الإسلام تراجع عن غوغائيته، فمدح الإسلام، وأثنى على خير الأنام، بعد أن عاش ريعان شبابه مستغلاً الضعف الأوربي المعرفي للإسلام يشوّه وينسج الأساطير والخرافات.

من ناحية الدوافع التي جعلتهم ينكبّون على تشويه الإسلام؛ فقد اتخذ الأدباء من تلهّيهم الأدبي بالإسلام وسيلةً لتحقيق الشهرة، وتحصيل الثروات، بجانب المهمة المقدسة، خلافاً لرجال الأكليروس والاستشراق الذين لم يكن لهم همّ سوى وقف انتشار الإسلام عن طريق التشويه، انطلاقاً من قناعتهم الدينية التي رأوا من خلالها أن الإسلام بالنسبة إليهم شرّ وكفر وهمجية وردة ينبغي محاربته، ووقف انتشاره وتمدده بأيّ وسيلة كانت.

كان الإسلام، عقيدةً وشريعةً وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم، لدى أدباء أوربا مرتعاً خصباً للتشويه، وعملاً مقدساً للتمويه منذ أن ظهر؛ فلم يحفل هؤلاء الأدباء والكتّاب إلا بهذا



من صورة العرب في الذهنية الغربية

الأمر الذي أناطوا أنفسهم به، عادّين إياه عملاً مقدساً دفاعاً عن المسيحية الآخذة في الذبول نتيجة انتشار أسواق الجدل في روما وبيزنطة حول أسماء الله وصفاته، وفي هذا السياق يقول الباحث ميلود عبيد منقور: «الأدب بمختلف أجناسه كان مطيةً اتخذها الغرب للدفاع عن مسيحيتهم، ونشر تصورات غربية خطيرة في منتهى الخيالية المرضية والتوهم عن الإسلام»[٤].

محمد أو التعصب

ومن هؤلاء الأدباء الذين اتخذوا من الأدب وسيلةً للدفاع عن المسيحية، إلى جانب تحقيق مطامحهم الشخصية على حساب الإسلام، الأديب والفيلسوف العالمي الفرنسي الشهير فولتير؛ ففي عام ١٧٤١م كتب فولتير مسرحيته (محمد أو التعصّب)، وفي هذه المسرحية اتّهم فولتير الإسلام بخطف النساء، وحملهن على الإيمان، وشكّك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع سفير الوحي جبريل عليه السلام[٥]. والأمر الذي يسترعي الانتباه في هذه المسرحية أن فولتير بحماقته الأدبية جعل النبي صلى الله عليه وسلم «منافقاً لا يعرف الحياء، ومضللاً، وظالماً، تدفعه النوازع الحسية والتعطش للدماء... إلخ»[٦]، «وخائن، ومتمرّد، ومجرم، ودجّال، ولم يكوّن أمةً إلا من أجل الصلاة والتكاثر والقتال»[٧]. وهذه كلها مزاعم لا تعتمد على أيّ أساس من الواقع، ولا من التاريخ، وتدخل كلها في باب التشويه والتخمينات والظنون. كما أن وصفه النبيّ محمداً صلى الله عليه وسلم -كما يقول المستشرق والمفكر الإسبانيJuan Goytisolo- جاء «مصاحباً لنعته إياه بالإهانة في شخصه وفي المعجزات التي أتى بها»[٨].

والعجيب أن فولتير كان يتفاخر بهذه النزقات الأدبية الصبيانية التي أسقطها على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم رغبةً في الشهرة والتزلف إلى الملوك والرؤساء في عصره؛ ففي رسالة إلى ملك بروسيا يصف فولتير الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: «*محمد ليس عندي سوى مُراءٍ بيده سلاح*»[٩].وقد مُثّلت هذه المسرحية في مدينة ليل الفرنسية أولاً عام ١٧٤١م، ثم قدّمتها (الكوميدي فرانسيز) في باريس عام ١٧٤٢م، وأدى عرضها إلى احتجاج السفير التركي في فرنسا، وعقد مؤتمراً دعا



اتهم فولتير الإسلام في مسرحية «محمد أو التعصب» بخطف النساء، وحملهن على الإيمان، وشكّك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع سفير الوحي جبريل عليه السلام

إليه كتّاب فرنسا الأحرار، فأوقفت الحكومة الفرنسية عرضها، ولم تزد حفلاتها على الثلاث، وظلّت بعد ذلك تسعة أعوام مختفيةً في الظلام[١٠].

ضغوط السلطان عبدالحميد الثاني

ويرجع الفضل في منع عرض هذه المسرحية الهزلية الساخرة إلى السلطان عبدالحميد الثاني رحمه الله؛ فقد أبرق إلى الحكومة الفرنسية رسالةً حملت بين دفتيها إنذاراً شديد اللهجة، قائلاً فيها: «لو قمتم بتمثيل هذه المسرحية التي تستهدف رسولي صلى الله عليه وسلم ورسول جميع المسلمين فإنني سأثير جميع العرب وجميع المسلمين ضدكم»[١١]. وبناءً على ذلك تمّ منع عرض المسرحية نتيجةً لهذه الضغوط السياسية، وقيل كذلك: لضغوط كنسية[١٢]، لكن يبدو أن الضغوط السياسية كان لها من القوة والاهتمام الحيز الأكبر.

وقد أرجع كثير من النقاد[١٣] موقف فولتير من الإسلام في هذه المسرحية إلى رغبته في نقد الكنيسة، وضرب الستار الحديدي الذي أقامته على حرية الفكر، غير أن هذا الرأي الذي توافروا عليه لا يصمد أمام الحقيقة؛ لأن اشتغال فولتير -كسائر أدباء أوربا- بتشويه الإسلام كان انطلاقاً من قناعته بالمسيحية، ونابعاً من إيمانه بها عقيدةً ليس فيها الصكوك وحماقات رجال الدين، وليست المسيحية جملةً وتفصيلاً؛ إذ كان يرى أن المسيحية بهذه الصورة عائقة عن مسايرة الرقيّ والعلم، وركب سلّم التقدم والمدنية؛ لذا لم يكن غريباً أن يهدي عمله المسرحي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى البابا بنديكت الرابع عشر بقوله: «فلتستغفر قداستك لعبدٍ خاضع من أشد الناس إعجاباً بالفضيلة؛ إذ تجرّأ فقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسّس ديانة بربرية -يقصد النبي محمداً صلى الله عليه وسلم والإسلام-. وإلى من غير وكيل ربّ السلام والحقيقة أستطيع أن أتوجّه بنقدي القاسي لنبي كاذب؟! فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب

ومؤلفه، وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة، وإني مع الإجلال العميق أجثو وأقبّل قدميك القُدسيتين»[١٤].

ولأن فولتير حاد عن توخّي الأمانة العلمية، وترسّم الموضوعية في أعماله الأدبية، وبخاصة المسرحية، وتحديداً (محمد أو التعصب)، فلا شك إذاً أن يقابل بسهام من النقد والتجريح من جانب المفكرين والكتاب الشرقيين والغربيين في عصره وما يليه من عقود لاحقة؛ فقد لقي ما حكاه وأبدعه من تخرّصات وخزعبلات عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم هجوماً حاداً من المهتمين بشأن فولتير وأعماله، والمختصين بالعلاقات الإسلامية والغربية؛ نتيجةً لإفراغه الحقائق اليقينية المسلّم بها عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، التي يؤمن ويسلّم بها مئات الملايين من البشر، من سياقاتها التاريخية ومضامينها الحقيقية.

نقد فولتير

لقد هاجم المستشرق الألماني الشهير جوستاف بفانمولر Gustav Pfannmueller عمل فولتير، وعدّه خارجاً عن مراعاة الحقائق التاريخية، وموغلاً في الوهم والخيال، مشيراً بذلك إلى أن فولتير استغلّ توظيف الصورة السيئة للنبي صلى الله عليه وسلم لدى الغرب في ذلك الوقت في نسج الخيالات والأوهام عن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. يقول جوستاف بفانمولر: «أما فولتير، فقد كتب روايته المأسوية (محمد أو التعصب) دون أن يراعي الحقائق التاريخية، وقد كان فولتير مقتنعاً بأن كتابه المنبثق من خياله يتناقض تناقضاً حاداً مع التاريخ، ومع ذلك فقد أراد أن يعرض على الجمهور شخصية تارتوف ممسكاً سلاحاً في يده، وكان يعتقد أنه يستطيع أن يعير محمداً هذا الدور، ولكن فولتير لم يكن له أن يفعل ذلك لو لم يكن التصور السائد حينذاك هو أن محمداً يمثّل التعصب والتضليل الديني»[١٥].

كان للقرآن نصيب من الثناء الفولتيري؛ لذا حلّ محلاً مرموقاً في الموضوعية المتأخرة التي تحلّى بها فولتير

الحكيم ينتقد فولتير

ظلّت أعمال فولتير الأدبية مجالاً خصباً للنقد والفحص من جانب الأدباء؛ بسبب تلبّس صاحبها بكثير من الشبهات التي تدور حول أعماله الأدبية؛ فحينما قرأ الأديب العربي توفيق الحكيم مسرحية فولتير (محمد أو التعصب) تعجّب لأمر فولتير، وأحال عمله المسرحي إلى رغبة فولتير في التملّق والتزلّف من الملوك والبابوات. يقول الحكيم: «عظم عجبي لأمر فولتير، وسألت نفسي طويلاً: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب العظيم أن يعتقد ما يقول؟!. دين تبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال هو في نظره حقاً دين كاذب؟! ومبادئ إنسانية كالتي جاء بها الإسلام هي عنده حقاً مبادئ بربرية؟! أم أنه التملّق والزلفى والنفاق؟!. وإن الزمن والتاريخ يضعان أحياناً أقنعةً زائفةً على نفوس تزعم أنها خُلقت للدفاع عن حرية الفكر. منذ ذلك اليوم وأنا أحسّ كأني فُجعت في شيء عزيز لديّ: (الإيمان بنزاهة الفكر الحر). ولقد كنت أحياناً ألتمس الأعذار لفولتير، وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق، بل عن عقيدة وحسن طوية؛ استناداً إلى علم خاطئ بأخبار النبي، ولكن كتابه إلى البابا كان يتّهمه اتهاماً صارخاً، ولا يدع مجالاً للشك في دخيلة أمره». وأضاف توفيق الحكيم منتقداً صنيع فولتير الأدبي: «إني قرأتُ لفولتير كتباً أخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقاً في مسائل الأديان، وتنمّ عن روح واسعة الآفاق تكره التعصب الذميم، فما باله عندما عرض لذكر محمد والإسلام كتب شيئاً هو التعصب بعينه؛ تعصب لدينه، ذهب فيه إلى حد السجود وتقبيل الأقدام لا لربّ العزة والخلق، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ما أرى أن فولتير كان في ذات يوم من خدّامها المخلصين!. هي الأطماع التي تدفع فولتير فيما أرى إلى التمسّح بأعتاب الملوك والبابوات، ولقد يقدّم ثمناً لذلك أفكاره الحرة أحياناً. منذ ذلك الحين وفولتير عندي متّهم، ولن أبرّئه أبداً، ولن أعده أبداً من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر، وأحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم»[١٦]. ولم يكن صنيع فولتير المسرحي الأدبي الهزيل بعيداً من توجيه القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت سهام النقد إليه؛ فقد انتقد مسرحية فولتير هذه لتزييفه الحقائق التاريخية عن النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: «إنه قد تخلّى هنا عن التاريخ والضمير الإنساني»[١٧].



أما وقد «استمتع الآن فولتير حيناً بالشهرة والمال دون أن يكدّرهما مكدّر»[١٨]؛ نتيجةً لصنيعه هذا من اختلاق الأكاذيب وبثّ ثقافة التجهيل، إلا أن نهجه لم يدُمْ على هذا الحال، وهو من المحال؛ فالشهرة قد أوسعته ضرباً؛ فعلم الجميع به، وطار ذكره في الآفاق، واستقبل بالحفاوة والترحاب، ومع بلوغه من الكبر عتياً، وتحلّيه بالشجاعة الأدبية والأمانة العلمية، وبعيداً من عالم الشهرة التي حققها، آب فولتير عن صنيعه، فتركه، واعتزله، أوَ كفى؟!.

عودة فولتير

أزمع الكاتب والفيلسوف الفرنسي Francois Marie Arouet، الشهير بفولتير، المسير نحو الحقيقة، تاركاً عالم الخيال والفانتازيا وراء ظهره؛ لذا أغدق الثناء على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعيداً من فنون الأدب، بعيداً من المهمة المقدسة، بعيداً من عهد مُلئ بالتعصب والحقد واللاموضوعية؛ فقد لهج لسانه بالثناء على خير الأنام صلى الله عليه وسلم إحقاقاً للحق، وإقراراً بالفضل. وتشير الباحثة البريطانية كارين أرمسترونج إلى شيء من ذلك فتقول: «لما أراد فولتير أن يبيّن كم كان محمد متسامحاً، وكم كانت المسيحية متعصبةً في كتابه (مقالة في الأخلاق)؛ فقد أغدق الثناء على الإسلام بسبب تسامحه»[١٩]. ومما كتبه وجاء في مقالته عن الأخلاق، المطبوعة ضمن قاموسه الفلسفي المنشور عام ١٨٣٥م، تعريته الوهم الخاطئ حول فرية السيف التي طالما دندن الغربيون حولها؛ فقد كتب يقول: «إن الإسلام الذي يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون في نصف الكرة الأرضية ما كان لينتشر أبداً بواسطة السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثُمّ على وجه الخصوص بالمثال الذي ضربه المنتصرون... فبمجرد أن اجتاز العرب (المسلمون) حدود بلادهم، التي لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتى ذلك الوقت، فإنهم لم يجبروا أحداً من الأجانب على الدخول في الإسلام. لقد أعطوا الشعوب التي خضعت لهم حرية الاختيار بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا لهم الجزية... والقليل الذي أريد أن أقوله إنما يكذب تماماً كلّ ما يقوله لنا مؤرّخونا وخطباؤنا وأحكامنا المسبقة، ولكن الحقيقة لابد أن تُقال، وأن تصفعهم»[٢٠].

وكان للقرآن نصيب من الثناء الفولتيري؛ لذا حلّ محلاً مرموقاً

الهوامش والمراجع

(١) رامون مارتي Ramon Marte: راهب دومينيكاني نصراني أندلسي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، وعدّه مونتير دي فيلا Montert De Villard أول مستشرق أوربي؛ تثميناً لجهوده في تشويه الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: محمد عبدالواحد العسري، الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، طبعة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٦٩.

(٢) كارين أرمسترونج، الحرب المقدسة، ص٥٠٩.

(٣) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد الجراد، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٦م، ص٨١.

(٤) راجع: مجلة حوليات التراث، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، مقال بعنوان: صورة الإسلام في الآداب الغربية، للكاتب ميلود عبيد منقور.

(٥) راجع موقع ويكيبيديا على الرابط: www.wikipedia.com

(٦) الإسلام في تصورات الغرب، محمود حمدي زقزوق، ص٨٨.

(٧) Jawad Hadidi; Voltaire et l'Islam paris, 1974, p154

(٨) Tribauna: Juan Goytisolo، .2006-5-Periodico el pais، 4



في الموضوعية المتأخرة التي تحلّى بها فولتير في شيخوخته بعد أن عاش ريعان الشباب يكيل الخزعبلات للإسلام ورموزه ومقدساته من خلال التوظيف الأدبي السيئ الذي اتخذه مجالاً لإبداعاته؛ فقد أثنى على القرآن، وانتقد رجال الأكليروس والاستشراق لما حمّلوا القرآن الكريم من الأكاذيب والسفاهات الحمقاء والمطاعن الآثمة؛ لهذا قال: «لا يزال القرآن في واقع الأمر يبقى ويشتهر إلى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزاً وسمواً، الذي كتب بهذه اللغة العربية. لقد نُسب إلى القرآن ما لا نهاية له من الحماقات التي لم تُوجد فيه على الإطلاق»[21].

هل شفع لفولتير ما قاله عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ لا، لم يكتفِ فولتير بإقرار تلك الحقائق، وإخبار الناس بها، ومحاولات حمله إياهم على الإيمان والتسليم والتصديق بها، بل كان له موقف أكثر من رائع في الدفاع عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، والاعتراف بمكانته، وهو موقف تشي محصّلته النهائية بما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من تجرّد وموضوعية وبحث وتقصٍّ في أثناء سفره إلى معرفة الحقيقة، بعيداً من التعصب والهوى والانسياق نحو الأهواء الشخصية والانتماءات القومية. فحينما زار سويسرا البرنس تسينسندروف، الذي تولّى حكومة النمسا، في شهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٧٦٤م، واجتمع في أحد مجالسه مع فولتير، وجرى بينهما ذكر مارتن لوثر، وجون كالفن، قال فولتير للبرنس تسينسندروف: «إنهما لا يستحقان أن يكونا صانعي أحذية عند محمد»[22]. وهكذا آب فولتير إلى الواقع، ورجع إلى الحقيقة بعيداً من عالم الصيت، وتاب من اختلاقاته وعاد إلى رشده.

ومقولة فولتير هذه لا ينبغي حملها على أيّ تأويل فاسد، أو معنى بعيد يقود إليه ظنّ غير حسن؛ لأن هذه المقولة إن كان جهر بها فولتير، وأعلنها على الملأ، فإنها تخرج من قريحة رجل مختلف الفكر، متباين الثقافة؛ فهي تحمل أول ما تحمل على الثناء الحسن والتقدير الجميل لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وغير قابلة لتأويل سيئ أو فهم مغالٍ يتجافى مع سياق الموقف وطبيعة الحقيقة التاريخية لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

Articulo: Voltaire y Islam

(٩) دانتي أليجيري، الكوميديا الإلهية، ترجمة: حسن عثمان، القاهرة: دار المعارف، ص١٠٠، ١٠١.

(١٠) عبدالرحمن صدقي، الشرق والإسلام في أدب جوته، القاهرة: مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد، المكتبة الثقافية، رقم ١٠، ص٢٣.

(١١) انظر: مقال محمد فتح الله كولن، المعنون بـ(العثمانيون تاريخاً وفكراً)، المثبت على موقعه على هذا الرابط: http://ar.fgulen.com/content/view/758/14

(١٢) Voltaire- Friedrich der Crosse, Aus dem, V. H. Pleschinski, hrsg. Zurich1992, S.146 Briefwechsel

(١٣) جلّ الباحثين الذين تناولوا مسألة أو قضية (فولتير مع الإسلام) اختزلوا موقف فولتير من الإسلام في هذا الرأي وحده، ومن هؤلاء: المفكر التونسي هشام جعيط في كتابه (أوربا والإسلام)، ص١٩، وعبدالرحمن صدقي في كتابه (الشرق والإسلام في أدب جوته)، ص٢٢، ٢٣، ومحمود حمدي زقزوق في كتابه (الإسلام في تصوّرات الغرب)، ص ٨٨، وخالد بن عبدالرحمن الشايع في مقاله المعنون بـ(حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله محمد ومن رسالته)، المنشور في صحيفة الشرق الأوسط، ع١٠٧٨٧، في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٩هـ/ ١٠-٦-٢٠٠٨م. ومن الكتّاب الغربيين: Islam, Europe, and Empire, Norman Daniel, page 26, Edinburgh university press1966, North America، وجورج هنري بوسكي George Henry Bosquet في مقاله (فولتير والإسلام) المنشور في مجلة ستاديا إسلاميكا، ع٢٨، عام ١٩٦٢م.

(١٤) توفيق الحكيم، تحت شمس الفكر، القاهرة: مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، ١٩٤١م، ص٢٢-٢٤.

(١٥) محمود حمدي زقزوق، الإسلام في تصوّرات الغرب، ص٨٧.

(١٦) توفيق الحكيم، تحت شمس الفكر، ص٢٢-٢٤.

(١٧) Islam, Europe, and Empire, Norman Daniel, page 29, Edinburgh university press1966, North America

(١٨) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج٣٥، ٣٦، ص٦٠.

(١٩) كارين أرمسترونج، الحرب المقدسة، ص٥٧٩.

(٢٠) Dictionnaire Philosophique de Voltaire, Tome 3pp 99-100 Paris 1835

(٢١) Dictionnaire Philosophique de Voltaire, Tome 7pp 46

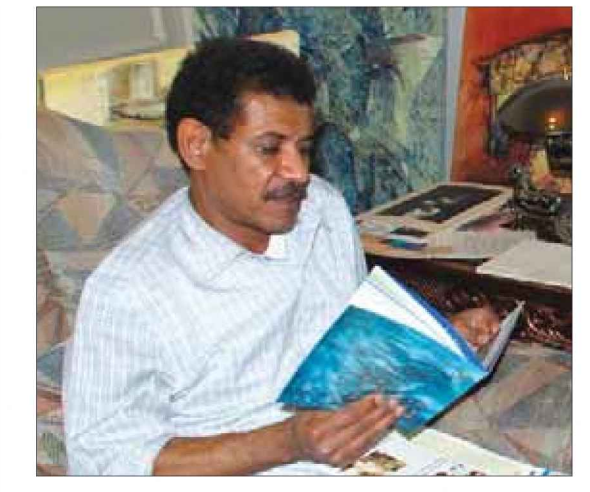
(٢٢) لوثروب ستودادر، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، ص٤٢.



أعمال التشكيلي محجوب العوض

حضور إفريقي وعربي

علي مرزوق
الرياض – السعودية





ولد الفنان التشكيلي السوداني محجوب حسن العوض عام ١٩٥٤م في منطقة (حلفاية الملوك)، التي كانت عاصمةً للسودان في ذلك الوقت، وهي منطقة تميزها المناظر الخلابة، والطبيعة الساحرة، وقد ساعدها على ذلك كونها منطقة زراعية قريبة من نهر النيل، الذي يتفرّع منه نهر صغير اسمه (خور سماحه)، فيخترق المنطقة ليبثّ فيها الحياة.

ومع أن أهالي المنطقة والسائحين في ذلك الوقت كانوا يقومون بزيارة الخور بهدف التبرك والاعتقادات الخاطئة إلا أن التشكيلي محجوباً كان يزوره لكي يستمتع على شاطئه باللعب بالطين المشبع بالماء، فيُشكّل منه التماثيل والبيوتات، وقد شجّعه على ذلك دراسته في المرحلة الابتدائية مادة (ألعاب الطين)، إلى جانب مادة (المدونة الجغرافية) التي تُعدّ من المواد المحببة أيضاً إليه؛ لارتباطها برسم الخرائط والمجسمات.

تأثر ومتابعة

لم يكن محجوب الوحيد في عائلته الذي يهوى الرسم والتلوين؛ فقد سبقه في ذلك شقيقه الأكبر محمد، الذي كان يمارس التشكيل وفق أسلوب مميّز، وشقيقته فايزة التي كانت تعدّ من الملوّنات المتميزات، إلى جانب ابني عمته: عبدالنعم، ومعاوية محمد الحسن، وإحدى بنات خالته، وهو ما أسهم في تشكّل موهبته مبكراً بفضل التشجيع المستمر، وملازمته الدائمة لهم. في حين أثّر جده لأبيه في حياته بالحكايات والأساطير، فكان يجلس معه أوقاتاً طويلة يستمع إلى هذه الحكايات، ثم يجسّد بعضها في أعماله التشكيلية. أما الفضل في تسويق أعماله، فيعود إلى الفنان التشكيلي كمال مصطفى. كما يدين للسعودية بالكثير؛ فهو يؤكد دائماً أن وجوده إلى جانب عدد كبير من الفنانين السعوديين أسهم في إثراء تجاربه التشكيلية.



تعليم وموهبة

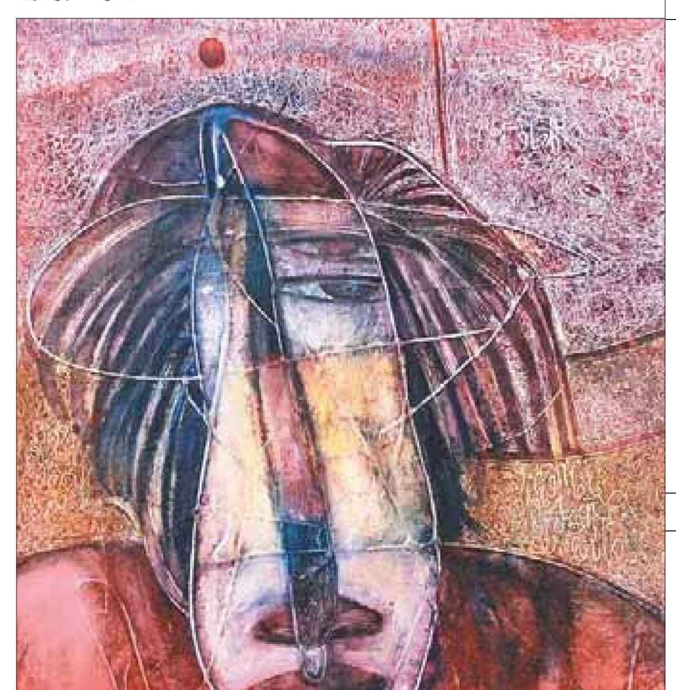
درس محجوب الابتدائية في مدرسة حلفاية الملوك، أما المرحلة المتوسطة فكانت في مدرسة الأميرية الثانية في مدينة الخرطوم بحري، رسم خلالها مجموعة من الجداريات ذات الموضوعات المختلفة واللوحات المدرسية الحائطية، وعلى الرغم من كثرتها إلى حدّ الإرهاق فإنه كان مستمتعاً بها لكونها تلامس الجانب الإبداعي والفني لديه.

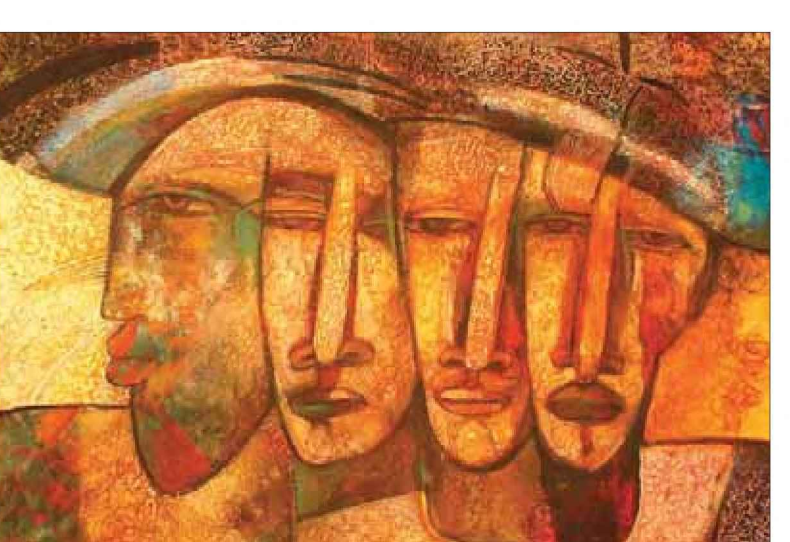
ومن المعلّمين الذين أثْرَوا تجربته بالجديد والمفيد محجوب المعلم (محمد الأمين الشنقيطي)، الذي كان يشجّعه على ممارسة التشكيل، وبحكم أنه قريب له فقد كان التشجيع مستمراً، وكذلك كانت زياراته المتكررة له، وتعرّف إبداعاته وممارساته المختلفة من قرب. أما شخصيته الفنية، فقد تشكّلت خلال المرحلة الثانوية التي كانت في مدرسة الخرطوم بحري، مع أنه لم يكن يحرص على حضور حصص مادة التربية الفنية؛ لاختلافه مع معلّم المادة في ذلك الوقت.

وقبل نهاية العام الدراسي بشهرين، وقرب تخرّجه في المرحلة الثانوية، حدثت لمحجوب حادثة غيّرت مجرى حياته، يقول عنها: «في إحدى حصص الفراغ كنت أرسم، وبعد أن انتهيت من رسم لوحة رآها أحد الأساتذة، واسمه سيف، فأعجب بها، وأخذ بيدي وشجّعني على الرسم، ولم يكتفِ بذلك، بل إنه شجعني على عمل جداريات على حوائط المدرسة تمثّل بورتريهات لمجموعة من الأدباء؛ أمثال: الأديب السوداني الطيب صالح، والأديب البريطاني جورج برنادشو، وغيرها من الموضوعات. كما أنه

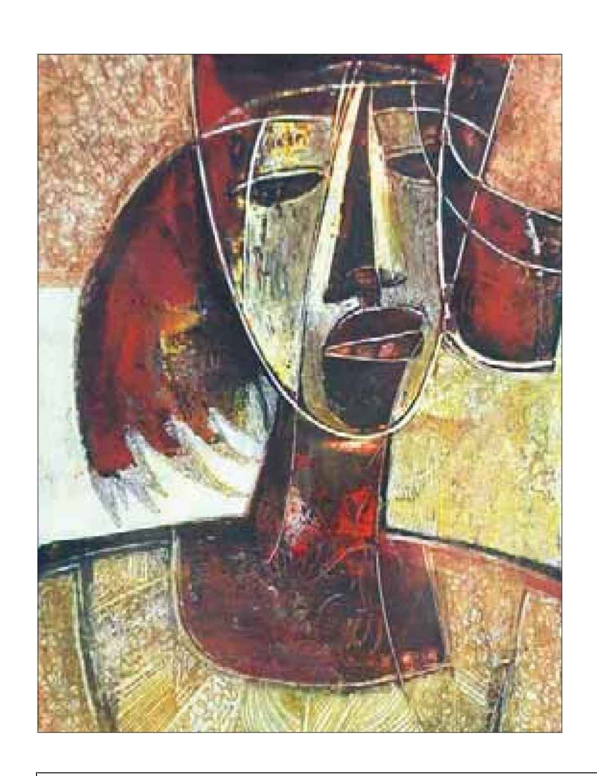


مجموعة البورتريه





كان يصطحبني معه إلى جمعية الفنون، وإلى زيارة كلية الفنون الجميلة. ونتيجةً حتميةً لهذه الزيارات المتكررة، وبتشجيع أيضاً من ابن عمتي معاوية، قرّرت أن ألتحق بالكلية بعد تخرّجي في المرحلة الثانوية عام ١٩٧٤م».



المدة التي عاشها محجوب في العاصمة الرياض أثْرت تجربته التشكيلية، وأسهمت في تعرفه البيئة السعودية بما تمتلكه من مخزون وإرث

شخوص محجوب ساكنة منكسرة يكتنفها الغموض، غير أن ذلك لم يفقدها الحياة والشعور بما تشعر به

الجمع بين الفن وتطبيقاته العملية

بعد التحاق محجوب بكلية الفنون الجميلة تخصّص في الرسم الإيضاحي؛ لكونه القسم الوحيد الذي يضمن له الوظيفة بعد التخرّج، ويؤهّله كذلك لسوق العمل التجاري، فتعلّم في هذا القسم الجديد في عالم التصميم، وكلّ ما يتعلق بتقنيات الإعلام والتصوير الضوئي، إلى جانب تعلّمه الكيفيات المثلى في أعمال الرسم والتلوين، فيكون بذلك قد جمع بين الفن التشكيلي وتطبيقاته في الحياة. ويتذكر محجوب أن من بين أبرز طلاب الكلية في ذلك الوقت الفنان العالمي الدكتور راشد دياب، والفنان سيف اللعونة، والفنان الشيخ إدريس.

وخلال دراسته في الكلية كان يحرص على إثراء ثقافته البصرية، فزار المتاحف والمعارض الفنية التشكيلية، وشارك في الورش والفعاليات التشكيلية المتخصصة، وأهّله ذلك كله لأن يشارك في معرض تشكيلي جماعي أقامه المجلس القومي للفنون والآداب عام ١٩٧٤م، وكان لفوز ابن عمته معاوية بالجائزة الأولى في هذا المعرض الأثر الكبير في نفسه، فأخذ يلازمه ويستفيد من خبراته، فكانت ثمرة هذه الملازمة أن قام بعمل تشكيلي جداري مشترك يجمعه به يمثّل الكعبة المشرفة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد تخرّجه في الكلية عام ١٩٧٨م التحق بوزارة الثقافة والإعلام في هيئة المعارض للفنون التشكيلية التي كانت تُقام فيها المعارض التشكيلية بمختلف اتجاهاتها، وخلال عمله هذا تعرّفت الوزارة إمكاناته وتخصّصه، فقامت بانتدابه للعمل مخرجاً فنياً بمجلة (Sudan now) الناطقة باللغة الإنجليزية من عام ١٩٧٨م حتى عام ١٩٨٠م.

بيئة حافزة

أما قصة قدومه السعودية، فتبدأ عام ١٩٨١م عندما تعاقد مع إحدى المؤسسات المتخصصة في الدعاية والإعلان في العاصمة الرياض، واستمر بها ٧ سنوات تعرّف خلالها إلى مجموعة متميزة من الفنانين التشكيليين؛ أمثال: أحمد خوجلي الذي كان يعمل في جمعية الثقافة والفنون، وعلي الرزيزاء، وسمير الدهام، وعثمان الخزيم. ونتيجةً حتميةً لهذه المعرفة شارك معهم في

معارض جماعية كان يشرف على تنظيمها الفنان محمد السليم -رحمه الله- في صالته الخاصة (العالمية للفنون)، التي يدين لها بالفضل لكونها عرّفته بمحبي الفن، وباعت له أولى لوحاته (سوق الحلفاية).

يؤكد محجوب أن المدة التي عاشها في العاصمة الرياض أثْرَت تجربته التشكيلية، وأسهمت في تعرّفه البيئة السعودية بما تمتلكه من مخزون وإرث ثقافيين كبيرين، فرسم الصحراء، والجِمال، والخيول، وبيوت الطين. وفي ذلك يقول محجوب: «يجب على الفنان ألا يتقيّد ببيئته التي عاش فيها فقط؛ لأنه كائن حيّ يؤثر ويتأثر بالبيئات الأخرى؛ فهو يعبّر عن المكان وفق رؤية عالمية لا ترتبط بالمكان ولا بالزمان الذي عاش فيه فقط؛ فالفن لغة عالمية لا تعترف بالحدود ولا بالمناطقية».

قراءة وتحليل

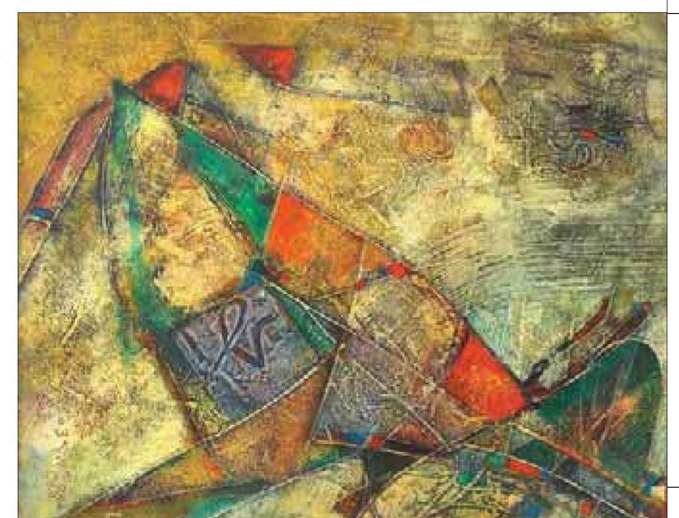
لا يحبّذ محجوب تصنيف أعماله في مدرسة بعينها أو اتجاه محدد، ويرى أن أعماله خليط من مجموعة مدارس؛ فهو يحب التمرد حتى على الاتجاهات الفنية على حدّ قوله، وامتد هذا التمرد ليشمل الخامات والمواد التي يستخدمها؛ فقد يستخدم مجموعة من الوسائط كأن يجمع بين (ألوان الزيت أو الأكريلك إلى جانب الأحبار والمعاجين ووسائط أخرى) في لوحة واحدة يقوم بتجهيزها بنفسه؛ فهو يعشق المساحات الممتدة، ويكره في المقابل اللوحات الجاهزة ذات المقاسات الصغيرة التي تقيّد حريته، ولا تسمح لألوانه أن تنساب في حرية وتلقائية.

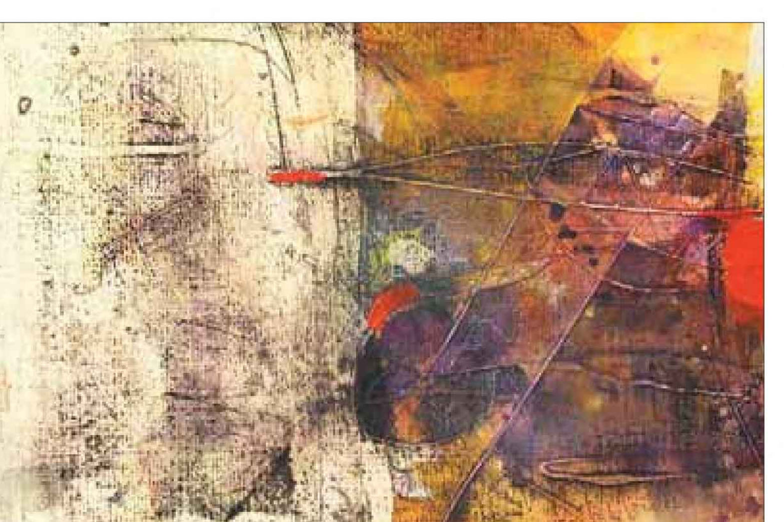
بدأ محجوب الفن رساماً على أبواب المساكن التقليدية في قريته الصغيرة، وكانت موضوعاته لا تخرج عن المناظر الطبيعية، والأدعية، والعبارات الخطية، وصور الحج التي كان يحرص على تصويرها على أبواب كلّ من يعود من مكة المكرمة ترحيباً واحتفاءً به بعد أدائه فريضة الحج. إلا أن بدايته الحقيقية انطلقت من (المرحلة الواقعية) التي تُعدّ أولى محطاته التي مرّ

من مجموعة الخيل



تجريد موسيقي





بها خلال تعاطيه الفن التشكيلي، والتي رسم فيها الطبيعة من حوله، وبعض الحيوانات؛ كالجمال، والخيول، والأغنام، متأثراً بالفن الإفريقي الذي يمتاز بتنوع ثقافاته، غير أن الخيل العربية الأصيلة كان لها الحضور القويّ في كثير من أعماله، وسبب ذلك -كما يذكر محجوب- مقايضته بدرّاجته حصان أحد أصدقائه كان والده يمتلك إسطبلاً للخيول في ذلك الوقت، فأعطاه الدراجة، وأخذ الحصان، فاحتلّ حيزاً كبيراً في تفكيره، وزاد تعلّقه به بعد أن قام بإرجاعه إلى صاحبه بعد أن رسمه في أوضاع مختلفة تجمع بين الضدين: القوة والضعف، والرقة والخشونة، والسرعة والبطء، وأطلق على هذه اللوحات اسم (أيام العرب)،

«مجموعة العازفات» تكشف سر الموسيقا في أعمال محجوب؛ فهو مع ممارسته الفن التشكيلي كان يهوى الموسيقا والعزف على آلتي العود والكمان

واستخدم فيها الورق والأحبار وتقنيات أخرى.

تلت المرحلة الواقعية عند محجوب (المرحلة الثورية)، التي تمثّل منعطفاً مهماً في حياته؛ لأنها أتت في مرحلة الشباب والثورة على النظام في ذلك الوقت، فجاءت أعماله قوية، يرتفع فيها صوت الحق والمطالبات الشرعية، وجسّدها بالأبيض والأسود فقط، مستخدماً أقلام التحبير (الرابيدوجراف)، والفحم، وأقلام الرصاص.

أما (مجموعة العازفات)، فتكشف سرّ الموسيقا في أعماله؛ فهو -إلى جانب ممارسته الفن التشكيلي- كان يهوى الموسيقا والعزف على آلتي العود والكمان، حتى أثّر ذلك في نصوصه البصرية التي تعتمد في رسمها على مجموعة من العازفين والعازفات في مشاهد حالمة، وإيقاعات لونية مموسقة. كما أن هذه الموسيقا امتدت لتشمل نصوصاً بصرية ذات نزعة تجريدية لا موضوعية (تجريد موسيقي) في إيقاعات خطية ولونية تتقاطع معها المساحات وفق بنائية تغلّفها التقائية وتقنية أكاديمية متخصّصة.

رُزق محجوب بتوأم سمّاهما (زاهر وزهير) كانا الشرارة لتجربة فريدة من نوعها تمثّلت في (مجموعة الأمومة) التي أبدعها نتيجةً للمعاناة الكبيرة لوالدتهما في العناية بهما، وتربيتهما، والسهر على راحتهما، سجّل من خلالها مشاهد الأمومة في عدة مواضع وأساليب فريدة بالغائر والبارز (ريليف)، مستخدماً خامة الجبس في تشكيلها، وأخرى استخدم فيها اللون الأحمر الذي لا يجد تفسيراً له حتى هذه اللحظة.

أما المتابع أعمال محجوب فإنه يجد ألوانه حالمة كما هي موسيقاه، وفي كثير من الأحيان كان يصنع ألوانه بنفسه، فيجمع فيها خليطاً من البنزين والأحبار وقليلاً من ألوان الزيت، فيخرج بتركيبة مبتكرة تميّزه من غيره. أما شخوصه فساكنة منكسرة يكتنفها الغموض، غير أن ذلك لم يفقدها الحياة والشعور بما تشعر به، بل لا أبالغ حين أقول: إننا نستطيع أن نُصغي إلى هذه الشخوص، ونتحدث إليها بلغة المشاعر والفن التي تغلّفها، ويتجلى ذلك بوضوح في مجموعة بورتريهات تركها بلا عنوان، ولوحة (جدي) الذي جاء منهمكاً وسط كتبه، التي تُعدّ من اللوحات العزيزة جداً على قلبه، فكان يأخذها معه في تنقلاته،



ويحافظ عليها في بيته خوفاً من السرقة، كما كان يفعل ليوناردو دافنشي مع لوحته (الموناليزا).

بقي أن نذكر أن محجوباً حاصل على عدد من الجوائز والمراكز المتقدمة في الفن التشكيلي، وتقتني أعماله عدة جهات؛ منها: الصالة الشرقية للفنون، وفندق الفورسيزونز ببرج المملكة، وفندق الهوليدي إن في الرياض، إلى جانب بعض الشخصيات المهتمة بالفن التشكيلي في السعودية والسودان وباقي أرجاء الوطن العربي.

وعلى الرغم من هذه المشاركات في التظاهرات التشكيلية الدولية، وفوزه بعدة جوائز في هذا المجال، إلا أنه لم يُقِمْ لأعماله معرضاً تشكيلياً شخصياً حتى الآن، ويرجع محجوب ذلك إلى أن الوقت لا يزال مبكراً، وأن كثيراً من أعماله تم اقتناؤها، وبعضها أهداها إلى بعض أصدقائه وأحبابه.

وعن رأيه في الفن التشكيلي السعودي ذكر محجوب أنه في تطور مستمر نتيجة عوامل كثيرة حددها في: وفرة الأدوات والخامات التشكيلية، وهو ما أتاح للفنان التشكيلي السعودي التجريب بخامات مختلفة، واحتكاكه بفنانين من مختلف دول العالم قدموا إلى المملكة في أوقات متفرقة، وانفتاح الفنان السعودي على ثقافات الآخر عن طريق القنوات الإعلامية المختلفة والشبكة العنكبوتية، إضافةً إلى ما كانت توفّره الرئاسة العامة لرعاية الشباب من دعم لا محدود في السابق، وما توفره وزارة الثقافة والإعلام حالياً.

تقول مجلة (البيت) عن محجوب: «فنان متميّز، وصاحب بصمة نادرة، ومسكون بالإبداع والفكرة، كما أنه عميق وجريء في أفكاره، وقد نشر فنه عبر مسيرته الملونة في أرجاء العالم، أما ريشته فلا تعرف السكون، بينما ألوانه ممتزجة بأصالة نادرة وعميقة الجذور».

ويقول عنه التشكيلي السعودي فهد النعيمة: «تمتد علاقتي بالفنان محجوب أكثر من ١٠ سنوات، لازمته خلالها فأفدت منه الكثير؛ فهو ملون بارع، وفنان متميّز، وهو -إلى جانب ذلك- فنان يمتلك خيالاً واسعاً. ومع أنه قليل الخروج من محترفه إلا أنه يمتلك مخزوناً ثرياً لشخوص مختلفة حائرة يغلّفها الحزن، وربما الألم، وهذا الأمر جعلني أقتني كثيراً من أعماله».



مجموعة العازفات

بدأ محجوب رساماً على أبواب المساكن التقليدية في قريته الصغيرة، وكانت موضوعاته لا تخرج عن المناظر الطبيعية، والأدعية، والعبارات الخطية

قايض محجوب بدراجته حصان أحد أصدقائه، فأصبح للخيل العربية حضور قوي في أعماله

قضايا

الثورات العلمية والثورات السياسية ما العلاقة ؟

أحمد بن حامد الغامدي
الرياض – السعودية

ما إن اشتد عود الثورات العربية الماجدة، وبدأت نسبياً تؤتي أكلها وثمارها اليانعة، حتى بدأ عدد من شعوب المعمورة بالاستلهام من التجربة العربية، والانبهار بالربيع العربي، ومحاولة استنباته في بلدانهم؛ لهذا سمعنا بمظاهر النضال السلمي والمسيرات المليونية والاعتصامات الميدانية في عدد من دول العالم؛ مثل: اليونان، وإسبانيا، وإيطاليا، وروسيا، وأمريكا، حتى الكيان الإسرائيلي. وآخر حركات التماهي مع الربيع العربي حركة (احتلوا وول ستريت)، وأخواتها من الحركات الاحتلالية لمعالم الجشع الرأسمالي ورموزه. لكن في المقابل ينبغي على الثورات العربية أن تتلمس الجوانب والمفاصل المحورية التي تضمن لأيّ ثورة سياسية أن تستمر، وأن تحقق نتائج نضالها السياسي وحراكها الاجتماعي.




صورة متخيلة لهارون الرشيد — إسحاق نيوتن — همفري داڤي

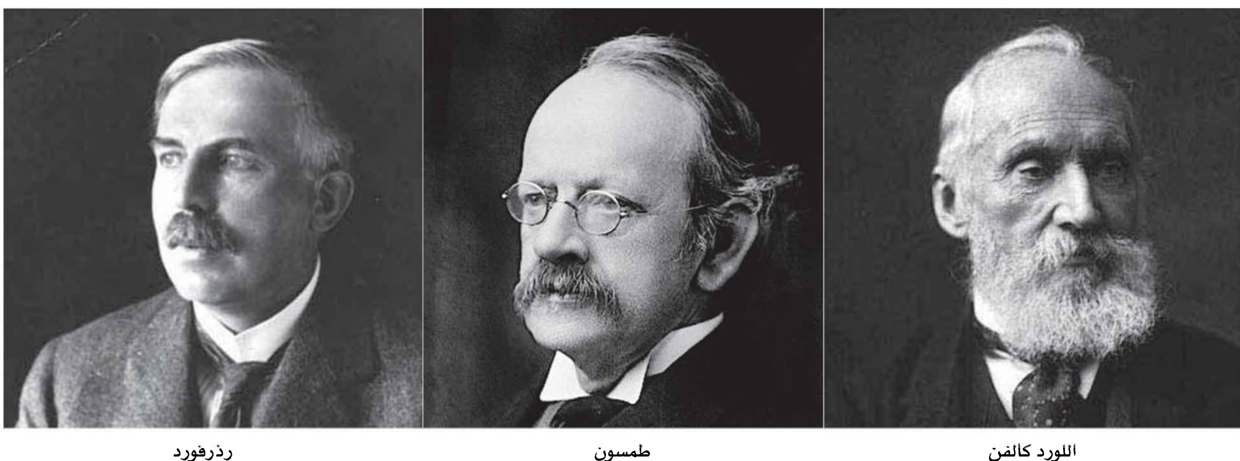
الراجفة السياسية تتبعها الرادفة العلمية

المستعرض تاريخ بعض كبريات الثورات السياسية، خصوصاً في التاريخ الحديث نسبياً، لا بد أن يلفت انتباهه أن بعض هذه الثورات السياسية بدأت بإحداث زلزال سياسي مدوٍّ (راجفة تاريخية)، كثيراً ما كانت تتبعها بعض الهزات الارتدادية على شكل طفرات علمية أو ثقافية أو فكرية (رادفة حضارية). الجميع يعلم أن العصر الذهبي للعلوم الإسلامية امتد خلال مدة حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد ومن بعده ابنه المأمون، لكن لا يمكن أن نغفل القلاقل السياسية التي واكبت بداية عصر الخلافة العباسية، سواء من الصراع مع بقايا فلول حكم بني أمية أم من خلال الصراع الداخلي (التنافس الدموي بين الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد) الذي كاد يزلزل كيان الحكم العباسي الحديث التكوين. وكوسيلة لضمان تفوّق الخلافة العباسية الثائرة سياسياً على الحكم الأموي تم تقوية أركان الدولة الوليدة باحتضان عدد كبير من العلماء والأطباء والفلاسفة والمفكرين، وبهذا نشأ أول مرة في التاريخ العربي فكرة إقامة مراكز متخصّصة في رعاية العلم والعلماء، تمثّلت في تشييد المعلم الحضاري الإسلامي الخالد (بيت الحكمة)، الذي

كان أشبه بمكتبة علمية، ومرصد فلكي، ومعهد تعليمي.

وكما نتج من الصراع والثورة السياسية العربية القديمة معلم حضاري مرموق، هو بيت الحكمة، نجد في تاريخ الإمبراطورية الإنجليزية أن ثورةً سياسيةً أخرى سوف تنتج معلماً علمياً لا يقلّ أهميةً عن بيت الحكمة، وهو ما حصل في منتصف القرن السابع عشر الميلادي عندما اندلعت الثورة السياسية والصراع الدموي المتمثّل في الحرب الأهلية البريطانية التي نشبت عام ١٦٤٢م بين الملكية البريطانية والثائرين عليها من أصحاب التوجّه البرلماني الذين سعوا إلى تقليص

بشكل كبير برعايته واهتمامه بالعلوم، كما حصل مع المأمون من قبل، ويكون نتيجة ذلك الإعلان عن إنشاء الصرح العلمي الخالد (الجمعية الملكية Royal Society) ذات الأثر البالغ في تاريخ العلوم وتقدمها، ويكفي أن نعرف أنه قد تولّى رئاسة هذه الجمعية العلمية المرموقة عدد من كبار العلماء على مرّ العصور؛ مثل: إسحاق نيوتن، والكيميائي الكبير همفري دافي، والفيزيائي اللورد كالفن، والعالم طمسون - مكتشف الإلكترون - والفيزيائي رذرفورد - مكتشف تركيب الذرة - وعدد كبير من العلماء الآخرين الذين حصل بعضهم على جوائز نوبل.



اللورد كالفن

طمسون

رذرفورد

صلاحيات الملك البريطاني تشارلز الأول، الذي ثار عليه رجل البرلمان والسياسي البريطاني أوليفر كرومويل، ونتج من ذلك مقتل الملك. وبحكم أن السياسة كثيرة التقلب؛ فبمجرد موت الثائر (والحاكم المستبد بعد ذلك) أوليفر كرومويل، وكوسيلة لإنقاذ المملكة البريطانية من مزيد من الانشقاقات والصراعات الداخلية، تمّ التوافق على إعادة الاهتمام بالحكم الملكي ممثّلاً في تعيين تشارلز الثاني -ابن الملك المقتول- ليصبح رأس الدولة الإنجليزية عام ١٦٦٠م. واللافت في الأمر أننا نجد هذا الملك الشاب تشارلز الثاني في نهاية السنة الأولى من حكمه يتميّز

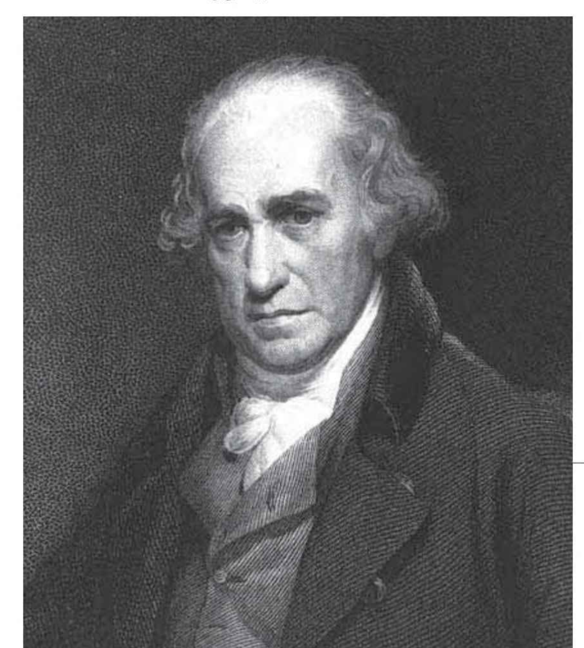
علماء في البلاط الملكي

وبهذه المناسبة لعلّ من المناسب الإشارة إلى أن ممن تولوا رئاسة الجمعية الملكية البريطانية شخصية علمية مرموقة ذات أصول عربية، وهو عالم الرياضيات البريطاني مايكل عطية، اللبناني الأصل، الذي تولّى رئاسة الجمعية الملكية بتاريخ ١٩٩٠-١٩٩٥م، وهو أيضاً حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في العلوم عام ١٩٨٧م. أما إذا أردنا أن نعرف حقيقة دور هذا الكيان العلمي المميّز (الجمعية الملكية) وأثره في إطلاق عصر النهضة العلمي في أوربا كلها، وليس في بريطانيا فقط، فيكفينا أن نعلم

أنه من ضمن الأشخاص الاثني عشر الذين بدأت بهم هذه الجمعية عام ١٦٦٠م العالم الكبير روبرت هوك - مؤسس علم الأحياء الدقيقة - وروبرت بويل - عالم الكيمياء الشهير- الذي يعدّ أبا علم الكيمياء الحديث، والمهندس المعماري كريستوفر ويرن - أحد أهم علماء العمارة في العصر الحديث وأشهرهم. لذلك لا غرابة أن يتوصل إسحاق نيوتن -أشهر العلماء على الإطلاق- في عامي ١٦٦٥ و١٦٦٦م، وهو في أوائل سنّ الشباب، إلى أهم اكتشافاته التي ثبّتت مكانته في تاريخ العلوم؛ فخلال سنة ونصف السنة، في أثناء إقامته بمزرعة عائلته بعد إغلاق جامعة أكسفورد بسبب انتشار الطاعون، توصل إلى تطوير علم التفاضل والتكامل calculus في الرياضيات، واكتشاف قانون الجاذبية، واكتشاف أن الضوء الأبيض هو مزيج من ألوان الطيف المعروفة. إن حزمة الاكتشافات المذهلة التي توصّل إليها نيوتن في سنة واحدة تبيّن حجم القفزة العلمية للمجتمع البريطاني بعد خمس سنوات فقط من انتهاء الثورة والحرب الأهلية وإنشاء الجمعية الملكية.

صحيح أن العلوم والتقنية الأمريكية في العقود الأخيرة هي ملء السمع والبصر، وهي تتربع على قمة الإسهامات الحضارية البشرية في هذا المجال، لكن الوضع لم يكن على هذه الشاكلة قبل قرن ونصف القرن من الزمان؛ فحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكن للحضارة الأمريكية أيّ إسهام ذي بال في تاريخ العلوم والتقنية، وعند مراجعة المصادر والكتب التي تهتم بتاريخ العلوم والاختراعات لن تجد اسم عالم أمريكي بارز، أو أنه قد حصل تحقيق اختراع متميّز على الأرض الأمريكية قبل منتصف القرن التاسع عشر إلا حادثة اختراع التلغراف عام ١٨٤٤م.

جيمس وات



بروز أمريكا

بعد أن عرفنا دور الثورات والأحداث السياسية الكبرى وأثرها في إحداث قفزات مذهلة في تطور العلوم أعتقد أننا لن نستنكر كثيراً عندما نربط حصول تطور متزايد في العلوم والاختراعات الأمريكية بالحدث السياسي الكبير بعد منتصف القرن التاسع عشر، المتمثّل في الحروب الأهلية الأمريكية التي استمرت أربع سنوات، وانتهت عام ١٨٦٥م؛ فبعد هذا التاريخ بسنوات قليلة شهد العالم عصر ما يُسمّى الثورة الصناعية الثانية، التي بدأت بشكل أساسي في الولايات المتحدة الأمريكية في سبعينيات القرن التاسع عشر، علماً أن الثورة الصناعية الأولى كانت قد بدأت قبل ذلك بنحو قرن من الزمان في بريطانيا بعد اختراع المحرك البخاري على يد المخترع الشهير جيمس وات في منتصف القرن السابع عشر. وبعد أن كان رصيد الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الاختراعات العلمية لا يكاد يذكر نجد أن هذا الرصيد يُصاب بالتضخم والتخمة العلمية، ربما بسبب حالة الانفتاح السياسي والتنافس الاقتصادي والعلمي والحضاري للأمة والشعب الأمريكي مع غيره من الشعوب. لذلك بعد سنوات قليلة من الحرب الأمريكية الأهلية بدأ تاريخ العلوم يسجّل تنامي طوفان التقنية الأمريكية قائدة الثورة الصناعية الثانية؛ فنجد المخترع الشهير جراهام بل يخترع الهاتف عام ١٨٧٦م، بينما أشهر المخترعين في التاريخ، وهو الأمريكي توماس أديسون، يبدأ أحد أهم اختراعاته عام ١٨٧٧م، وهو الجرافون، الذي تطور لاحقاً ليتحوّر ويصبح جهاز الراديو. وخلال سنوات قليلة لاحقة نجح الأمريكان في اختراع أول غوّاصة في التاريخ، وأول كاميرا تصوير، وأول طائرة، وأول مادة بلاستيكية، وأول مكيف هواء، وأول خلية شمسية لإنتاج

الطاقة، وطبعاً بلا شك أول مصباح كهربائي.

وعلى الرغم من تميّز المخترعين الأمريكان إلا أن تميّز العلماء تأخّر بشكل ملحوظ؛ فأول عالم أمريكي من العيار الثقيل تأخّر ظهوره حتى عام ١٨٧٦م (قارن ذلك بمئات مشاهير العلماء البريطانيين والفرنسيين والألمان الذين يغصّ بهم تاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) عندما توصّل العالم الأمريكي الشهير جبس Gibbs إلى طرح مفهوم الطاقة الحرة، ثم توصل إلى القانون الثاني لعلم الثرموديناميك. كما تمكّن الفيزيائي الأمريكي الأقلّ شهرةً ألبرت ميكلسون في عام ١٨٨٢م من قياس سرعة الضوء؛ لهذا مُنح جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٠٧م، وكان أول عالم أمريكي يُمنح مثل هذه الجائزة العلمية المرموقة، بينما لم يُمنح أول أمريكي هذه الجائزة في الكيمياء إلا في عام ١٩١٤م، وتأخر نصيب علماء الطب الأمريكان لنيل أول جائزة نوبل في الطب حتى عام ١٩٣٣م.

تعدّ الثورة الفرنسية التي انطلقت عام ١٧٨٩م من أشهر الثورات السياسية على مدار التاريخ، وإلى حدٍّ ما يمكن بشيء من التجاوز أن نقرّر أن التجربة الفرنسية المتعلقة بظاهرة الترادف بين الثورات السياسية والعلمية متقاربة إلى حدٍّ ما مع ما حصل في التجربتين البريطانية والأمريكية السابقتي الذكر، لكن الاختلاف الطفيف في التجربة الفرنسية أن حالة العلوم ومستواها في فرنسا قبل الثورة كانا مقبولين، بل متقدمين إلى حدٍّ ما، ويؤيد ذلك أن نجد أسماء علماء فرنسيين كبار سطع نجمهم قبل الثورة الفرنسية؛ مثل: الكيميائي الشهير لافوازيه، وعالم الفلك لابلانس، ورائد علم الكهرباء كولومب، وعالم الرياضيات البارز لاجرانج. ومع ذلك يبقى أن الثورة الفرنسية تسبّبت لاحقاً بتغيّر نمط الحياة والسياسة والإدارة في المجتمع الفرنسي؛ لكي يظهر بعد سنوات قليلة من الثورة الفرنسية الكبرى كوكبة إضافية من العلماء الفرنسيين، الذين كانت لهم بصمة مميزة في تاريخ العلوم والتقنية؛ مثل: أسطورة علم الكهرباء أمبير، وعلماء الكيمياء الذين يعرفهم أغلب طلاب المدارس؛ مثل: جاي لوساك صاحب قانون الغازات ومكتشف عدد من العناصر الكيميائية، والكيميائي جوزيف بروست صاحب قانون النسب الثابتة للمركبات الكيميائية. كما اخترع خلال هذه المرحلة الزمنية التصوير الفوتوغرافي في أول مرة على يد كيميائي فرنسي، واكتشف أحد علماء الفلك الفرنسيين كوكب نبتون، بينما اكتشف فيزيائي فرنسي ظاهرة الحثّ المغناطيسي التي كانت أساس اختراع المولد الكهربائي.

نابليون واهتمامه بالعلوم

الجدير بالذكر أن من أشهر ثمرات الثورة الفرنسية بزوغ نجم السياسي الفرنسي الأسطورة نابليون بونابرت، لكن من الجوانب المجهولة نسبياً في حياة الإمبراطور والقائد الفرنسي المثير للجدل بونابرت اهتمامه بالعلوم، وتشجيعه وتبنيه العلماء، الذي انعكس بجلاء منذ بداياته السياسية؛ إذ حرص على أن يصطحب معه عشرات العلماء في حملته العسكرية على مصر، كما أنه قام لاحقاً بتعيين عدد من وزرائه وكبار موظفي الدولة من العلماء والباحثين الكبار؛ مثل: علماء الكيمياء (بيرتيلو وفوركوري)، والفلك (لابلانس)، والرياضيات (فورييه)، بل يُقال: إن نابليون كان يدرس أساسيات علم الكيمياء على يد عالم كيميائي فرنسي شهير، يُدعى كلايد بيرتوليه. وفي السنوات الأولى لتولّي نابليون سدة الحكم في فرنسا أعجب

يتميز الملك الشاب تشارلز الثاني برعايته واهتمامه بالعلوم، و إنشاء الصرح العلمي الخالد (الجمعية الملكية) ذات الأثر البالغ في تاريخ العلوم وتقدمها

كثيراً باختراع العالم الإيطالي إليساندرو فولتا أول بطارية كهربائية في التاريخ، لدرجة أنه عندما عرض فولتا بطاريته التاريخية أمام أعضاء أكاديمية العلوم في باريس عام ١٨٠٠م، بحضور الإمبراطور نابليون نفسه، أمر نابليون بمنحه ميدالية ذهبية، كما أمر بتأسيس جائزة سنوية للأبحاث المتعلقة بالكهرباء. وهذا الأمر جاء في نسق استشعار نابليون الأهمية العلمية الكبرى لهذا الاختراع الكهربائي. وكان من أوائل من فاز بتلك الجائزة العلمية، التي أمر بها نابليون حول أبحاث الكهرباء، الكيميائي البريطاني الشهير همفري ديفي؛ إذ دعاه

كانت الصدمة الكبرى لأصحاب الفكر الشيوعي الماركسي أن الثورة الشيوعية بدل أن تظهر في إنجلترا الصناعية ظهرت وانطلقت شرارتها في الإمبراطورية الروسية الزراعية بامتياز. ومن نافلة القول أن حقائق التاريخ تدلّ على أن الأمة الروسية لم تدخل عصر النهضة الصناعية بحقّ إلا بعد سنوات الثورة الروسية الشيوعية التي أطاحت عام ١٩١٧م بحكم القيصر الروسي نيكولاس الثاني. إن تاريخ علوم الأمة الروسية قبل الثورة الشيوعية لا يحتوي على أيّ نقاط علمية وتكنولوجية واضحة، باستثناء توصّل عالم الكيمياء الروسي الشهير ديمتري مندلييف



روبرت هوك — روبرت بويل — كريستوفر ويرن

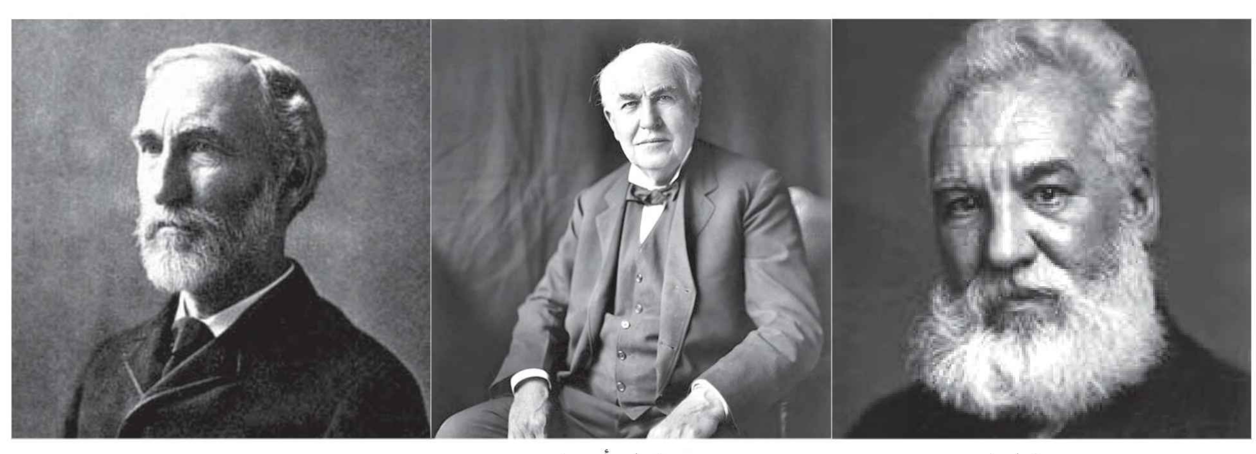
نابليون ومنحه جواز سفر للتنقل في فرنسا، وزيارة باريس التي أقام بها شهرين في عزّ سنوات العداء بين بريطانيا وفرنسا.

التجربة الروسية

ولعلنا نختم الحديث مؤقتاً عن التلازم بين الثورات السياسية والثورات العلمية في العالم الغربي بالتعريج، بشكل سريع، على التجربة الروسية في هذا الشأن؛ فكما هو معلوم طوال تاريخ الشعوب الروسية كثيراً ما كانت الأمم الأوربية الغربية تصف الأمة الروسية بأنهم شعب من الفلاحين؛ لهذا

في عام ١٨٦٩م إلى فكرة الجدول الدوري للعناصر الكيميائية، وكذلك قيام العالم الروسي ميخائيل تسفيت Tsvett في عام ١٩٠٦م بأولى التجارب العلمية في مجال علم طرائق الفصل الكروماتوجرافي. ومع أنه بعد هذه الثورة السياسية الشيوعية البارزة لم تظهر أسماء علمية مميّزة في سماء العلوم الروسية باللمعان نفسه الذي حصل في الغرب، على الرغم من وجود عدد غير قليل من علماء الرياضيات والفيزياء النووية ومهندسي الصواريخ الروس النابهين، إلا أن النجاح الكبير للأمة الروسية كان هو تحوّلها السريع نسبياً بعد سنوات الحرب العالمية الأولى

إلى دولة صناعية بصورة ملحوظة؛ مما مكّنها لاحقاً من منافسة الغرب في جوانب تقنية تستلزم تقدماً تكنولوجياً هائلاً؛ مثل: مجال سباق التسليح النووي، وغزو الفضاء واستكشافه. ومن القصص الدالة التي تُذكر لبيان سرعة استيعاب الشعب الروسي المهارات الصناعية أن الفيزيائي البريطاني السير جون كوكروفت، الذي حصل لاحقاً عام ١٩٥١م على جائزة نوبل في الفيزياء، عندما قام بزيارة الاتحاد السوفييتي في ثلاثينيات القرن العشرين لم يتمكّن من زيارة المختبرات العلمية فقط، بل سُمح له أيضاً بزيارة المصانع والمعامل. وبعد عودته من موسكو، كثيراً في مستقبل الأيام أن يسبق الروس الأمريكان في برنامج غزو الفضاء بإطلاق أول قمر صناعي (سبوتنك)، وإرسال أول رجل فضاء (يورجي جاجارين)، وإنزال أول مسبار فضائي يهبط على سطح القمر (لونا ٩)؛ لهذا لا عجب أن يفزع الأمريكان من هذا التقدم التقني المذهل للروس الشيوعيين، فيبدؤوا بتعديل مناهج التعليم لديهم بعد نشر تقرير (أمة في خطر) الذي يصف سوء سياسة التعليم الأمريكية. وكما أفزع الأمريكان وجود الروس في الفضاء فقد أفزعهم في المدة نفسها تقريباً وجود الروس على الأرض فيما يُعرف بأزمة الصواريخ



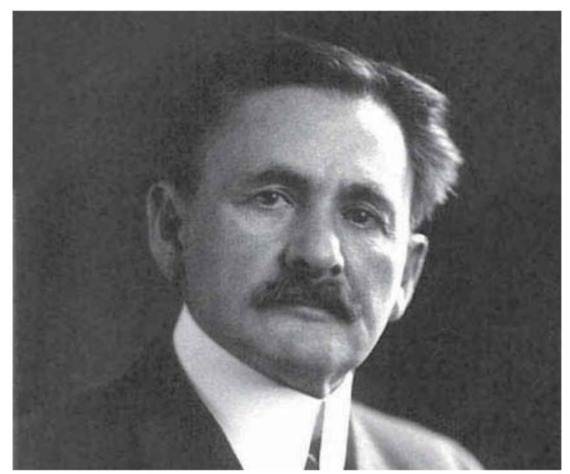
جراهام بل		توماس أديسون		جبس

وحسب النظرة السلبية المتعجرفة للإنجليز عن الشعب الروسي المتواضع الحضارة سأل أحدهم كوكروفت عما يبدو عليه العمال المهرة في روسيا، وهنا كان ردّ كوكروفت بكلّ بساطة وصدق ووضوح: «أوه! إنهم تقريباً يماثلون تماماً العمال المهرة في مصنع متروفيك». وللتدليل على سرعة التطور الصناعي الروسي في تلك المدة لك أن تعرف أن شركة متروفيك Metrovic المذكورة سابقاً كانت في بدايات القرن العشرين من أشهر شركات الكهرباء الأوربية وأهمها على الإطلاق.

وبهذا التقدم السريع في التقنية الروسية لم يكن مستغرباً الكوبية؛ إذ كان الروس المشاغبون على مرمى حجر من الأراضي الأمريكية وهم مدججون بصواريخ نووية فتاكة، وبأسطول بحري مهول، كلّ هذا كان نتاج الثورة الصناعية الروسية المتسارعة وإن لم تكن عالية الجودة.

الثورات العلمية تتجه شرقاً: للخلف دُر

يستنكر كثير من المفكرين مقولة الشاعر والدبلوماسي البريطاني كيبلنج الشهيرة: «الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا»، التي فيها اختزال لحقيقة تمايز الغرب عن الشرق في



ألبرت ميكلسون

التفكير والسلوك والقيم الحضارية. الغريب في الأمر أن تجربة الثورات السياسية، حتى العلمية، وملابساتها متمايزة بشكل مذهل بين طرفي الكرة الأرضية الشرقي والغربي كأن هناك تجربة غربية وأخرى شرقية في أسباب نشوء الثورات العلمية والسياسية وتطورها ثم أفولها. ولعلنا نبدأ القصة بالتذكير بأنه في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أذهل الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو القارة الأوربية بأسرها بالقصص والأخبار التي عاد بها بعد سبعة عشر عاماً قضاها في الصين؛ إذ أخبر الشعوب الأوربية المتخلفة في تلك المدة (العصور الوسطى، أو عصور الظلام) عن الثورة المدنية والتقدم الحضاري المذهل للحضارة الصينية. وبحكم المقولة الشائعة من أن دوام الحال من المحال فبعد خمسة قرون من مشاهدات ماركو بولو أصبحت القارة الأوربية هي المتطورة، بينما أصبحت الأمة الصينية أمةً ضعيفةً وذليلةً، لدرجة أنه في منتصف القرن التاسع عشر أجبرت الإمبراطورية البريطانية الحكومة الصينية على القبول بجعل شعبها يتاجر في المخدرات ويتعاطاها بعد هزيمة الصينيين المريرة في حروب الأفيون السيئة الذكر. وهنا يظهر سؤال المليون كما يُقال في الاستفسار عما حدث للحضارة الصينية لتتقهقر من قمة الحضارة والقوة إلى حضيض التخلف والضعف والهوان، وهو سؤال شائك بدرجة كبيرة، لكن ربما يكون سبب ضعف الأمة الصينية في القرون الماضية هو في جزء منه سبب نهوض الأمة الصينية في العقود الأخيرة، وهو على التمايز من التجارب في الدول الغربية ليس ناتجاً من ثمار الثورات السياسية الكبرى وإفرازاتها، لكنه ناتج من ثمار الثورات والتغيرات الاجتماعية الكبرى؛ بسبب أن الحضارة الشرقية، ممثّلةً في الحضارتين الصينية واليابانية، اعتمدت بشكل كبير على الأفكار الثقافية الدينية التي هي في جانب منها قائمة على التقديس والاحترام الصارم للأسلاف والآباء كما هي تعاليم القيم الكنفوشيوسية القديمة التي تنزع إلى المحافظة على التقاليد والانغلاق عن الآخر.

في القرن الخامس عشر تولّت أسرة سلالة المينغ Ming dynasty، التي وصلت الحضارة الصينية خلال حكمها إلى قمة التطور والتقدم، وتمثّل جزء من ذلك التطور في إنشاء الصينيين أسطولاً بحرياً مكوّناً من نحو ٤٠٠ سفينة ضخمة هو الأعظم في التاريخ حتى بداية الحرب العالمية الأولى. وقاد هذا الأسطول البحار الصيني المسلم زهنق هي Zheng He، الذي كان يشرف في الرحلة البحرية الواحدة على نحو ٢٨ ألفاً من البحارة والجنود، وطاف بأسطوله هذا المحيط الهندي والخليج العربي، ووصل إلى جدة، فأدى فريضة الحج، ثم اختتم رحلته على سواحل إفريقية الشرقية. لقد كانت الصين في منتصف القرن الخامس عشر مؤهلةً تماماً للسيطرة على العالم، لكن بدلاً من اقتناص التنين الصيني الفرصة للتحكم في العالم بدأ بالتراجع والانسحاب والانغلاق، وفجأة ومن دون مقدمات أو دوافع حقيقية دخلت الأمة الصينية في مرحلة انغلاق عجيبة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً حتى ذلك الوقت إلا ما حصل في اليابان بعد ذلك بعدة قرون حذو القذة بالقذة؛ إذ صدر قرار الإمبراطور الصيني عام ١٤٣٣م بإيقاف جميع الحملات البحرية، ثم أعقب ذلك قيام الحكومة الصينية بتفكيك أسطولها، ولم ينتهِ هذا القرن إلا بإصدار قانون يحرّم بناء أيّ سفينة لها أكثر من صاريتين. ولعلّ من أسباب هذا الانغلاق التام للصين على نفسها، وانسحابها من المجتمع الدولي، هو تمسك الصينيين الشديد بالموروثات والتقديس الكامل للأسلاف؛ لهذا عندما بدأ البحارة الصينيون يحضرون معهم عدداً من المنتجات والتحف،

بل حتى الحيوانات الغربية على المجتمع الصيني؛ مثل الزرافة التي أهداها حاكم كينيا إلى الإمبراطور الصيني، كانت ردة الفعل العنيفة لبعض أصحاب النفوذ السياسي والديني والاجتماعي هي الحرص على حماية المجتمع الصيني وعزله عن الأفكار والمظاهر الحضارية الخارجة عن المألوف.

اليابان على خطا الصين

وبسبب التقارب النسبي بين الحضارة والثقافة اليابانيتين والثقافة وطريقة التفكير الصينيتين، فلا عجب أن نجد اليابان بطريقة مشابهة – إلى حدٍّ ما تدخل – هي الأخرى في حالة انغلاق متشددة عن العالم الخارجي؛ فحتى عام ١٨٥٤م انتهجت اليابان سياسة العزلة التامة، ومنع اليابانيين من السفر إلى الخارج، ولم يُسمح للأجانب بزيارتها ما خلا سفينة هولندية كانت ترسو مرةً في السنة في مرفأ ناجازاكي الصغير. فكما حصل مع الصينيين من رفض الأفكار والمخترعات والمكتشفات الوافدة نجد أن اليابانيين منذ عام ١٦٣٩م بدؤوا يتضايقون بشدة من ظاهرة انتشار المسيحية في الجزر اليابانية، وردة فعل حول تغيير الهوية الثقافية والدينية للأمة اليابانية بدأت سياسة العزل التام للشعب الياباني التي استمرت مدةً قاربت القرنين من الزمان.

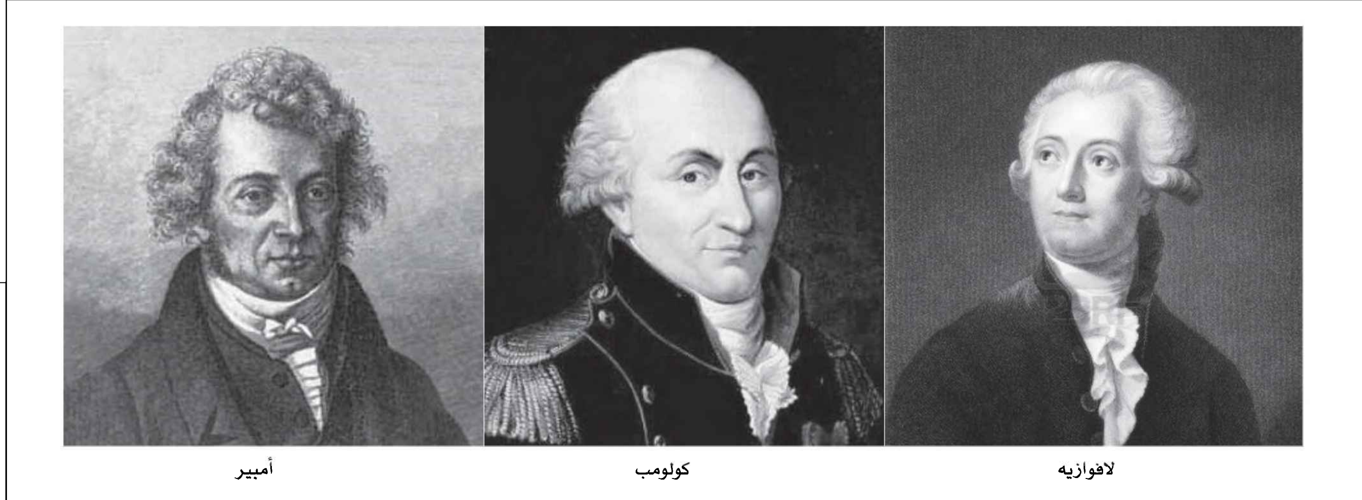
بعد سياسة العزلة الخانقة التي اتبعتها كلّ من الأمتين الصينية واليابانية عدة قرون، وما تسبّبت به من ضعف هائل للحضارتين الصينية واليابانية، كان لا بد من حصول ثورة سياسية أو اجتماعية أو فكرية تعيد شعوب هذه المنطقة إلى سابق قوتها، وعزّ سلطانها ونفوذها. لهذا لم تكن الثورة العلمية لكلّ من المجتمعين الصيني والياباني ناتجةً أو تاليةً لحصول ثورة سياسية، لكن بشكل أدقّ لحصول ثورة اجتماعية فكرية، وهو ما حصل أولاً في اليابان منذ عام ١٨٥٤م؛ إذ

لايزال الشوط طويلاً

بسبب التراجع في زخم العلوم الغربية، يمكن تخمين أن شعوب شرق آسيا؛ مثل: اليابان، والصين، وكوريا، هم من سيتسلّمون زمام شعلة العلم، بينما الشعوب الإسلامية، بما فيها تركيا وماليزيا وإيران، ما زال الشوط طويلاً أمامها لتعيد أمجاد التاريخ الغابر. ولا بد أن ندقّ نواقيس الخطر، وننبّه إلى أن أعداءنا الأقربين الإسرائيليين الصهاينة بدؤوا يحصدون ويجنون ثمار سياساتهم الدؤوبة والمتواصلة لتحقيق التميّز العلمي؛ فعدد براءات الاختراع التي يسجّلها العلماء الإسرائيليون هي ضعف عدد براءات الاختراع التي يسجّلها جميع العلماء في العالم الإسلامي تقريباً، ونسبة العلماء والمهندسين إلى نسبة عدد السكان، وكذلك نسبة عدد الأبحاث المنشورة إلى عدد السكان، في إسرائيل هي الأعلى في العالم. ومما يدلّ على بدء وصول الثورة العلمية الإسرائيلية إلى قمة التميّز أنه في الماضي لم يحقق أيّ عالم إسرائيلي الحصول على جائزة نوبل، وفجأة حقّق العلماء الإسرائيليون في السنوات الأخيرة أربعة جوائز نوبل في الكيمياء دفعةً واحدةً: اثنتان في عام ٢٠٠٤م، وواحدة في كلّ من عامي ٢٠٠٩ و٢٠١١م. وإن زخم الربيع العربي والحراك السياسي الثوري، واستشعار أبعاد التنافس الحضاري والعلمي مع الأعداء (الصهاينة)، والخصوم (إيران)، سيثمر للعرب قطعاً مزيداً من التفوق في مجال السياسية، وبدرجة أقلّ في مجال الحضارة العلمية والتطور التقني، والعلم عند الله.

من أشهر ثمرات الثورة الفرنسية بزوغ نجم السياسي الفرنسي الأسطورة نابليون بونابرت، لكن من الجوانب المجهولة نسبياً في حياته اهتمامه بالعلوم

تمّ إطلاق تغيير ثوري في المجتمع الياباني على يد مجموعة شابة من فرسان الساموراي أسقطت الحكومة القديمة، وأحدثت تغيرات سياسية جوهرية في البلد، مطلقةً منذ عام ١٨٦٨م عصر الانفتاح في تاريخ اليابان الحديث، المشهور بعصر الميجي Meiji، وهو العصر الذي نتج منه جعل الأمة اليابانية واحدةً من أحدث الدول الآسيوية في نهاية القرن التاسع عشر، وأكثرها تقنيةً وقوةً عسكريةً. وكما هو معلوم، ففي تلك المدة بدأت كلّ من اليابان ومصر (في زمن الخديوي إسماعيل) سياسة إرسال البعثات الطلابية إلى أوربا للحصول بعد ذلك بعقود قليلة. وفي تاريخ تطور العلوم نجد أسماء بعض العلماء اليابانيين لامعةً منذ البداية؛ فمثلاً الفيزيائي الياباني هنتارو Hantaro وضع منذ عام ١٩٠٤م نظرية علمية لتركيب الذرة تقترح أن الإلكترونات تدور حول النواة، بينما في العام نفسه كانت فكرة الفيزيائي الإنجليزي الشهير طومسون، الحاصل على نوبل عام ١٩٠٦م، أن الإلكترونات متداخلة مع النواة، ولم يضع الفيزيائي الشهير نيلز بور نموذجه التاريخي لتركيب الذرة، وأنها مكوّنة من نواة تدور حولها الإلكترونات في مدارات مستقلة، إلا عام ١٩١٣م.



لافوازيه — كولومب — أمبير

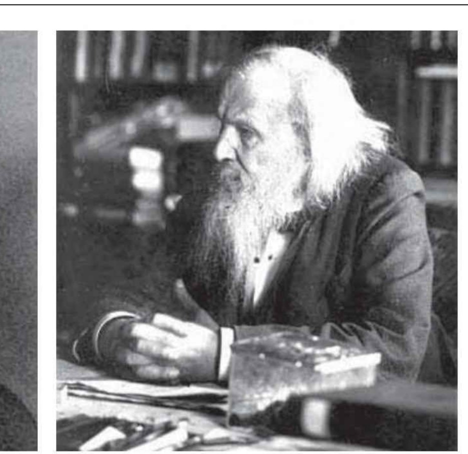
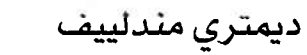
على أسرار الحضارة الغربية المدنية المتفوقة، لكن شتّان بين ثمرات الحراك الياباني والحراك العربي. لقد آتت الانتفاضة الاجتماعية اليابانية ثمارها سريعاً؛ فبعد سنوات قليلة من الثورة الاجتماعية السابقة الذكر تمّ في عام ١٨٧٧م تأسيس جامعة طوكيو على النسق الغربي في جودة التعليم؛ لهذا لا غرابة أن نجد حتى في السنوات الأولى من القرن العشرين الصناعة اليابانية قد قفزت قفزات مذهلة بكل المقاييس، لدرجة أن اليابان في تاريخها الصناعي المبكر هذا كانت تصنع القطارات والسفن الحربية، بل حتى الطائرات الحربية

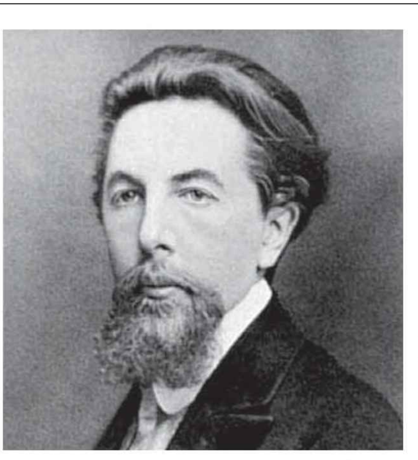
وبدرجة أقلّ من التألّق يمكن أن نجد إسهامات علمية لبعض العلماء اليابانيين في أوائل القرن العشرين، خصوصاً في بعض الاكتشافات الطبية؛ مثل: اكتشاف سبب مرض الدوسنتاريا، أو تعرّف الآثار المسرطنة لبعض المواد الكيميائية، بينما في علم الجيولوجيا يتوصل أحد علماء اليابان إلى اكتشاف تذبذب المجال المغناطيسي للأرض عبر العصور.

وفي الجانب الصيني من قصة الترادف بين الثورات السياسية أو الاجتماعية والثورات العلمية نجد أن الأمة الصينية فقدت كامل تفوّقها العلمي بعد قرون الانغلاق الخانقة

التي سبق ذكرها؛ لذلك تعرضت عقوداً طويلة للمهانة تحت الاحتلال الإنجليزي، وما إن كادت تتخلص منه حتى تعرّضت قبل الحرب العالمية الثانية لتعرض أجزاء من الأراضي الصينية للاحتلال الياباني المتّصف بالقسوة المفرطة، كما تعرّضت بعض المناطق الصينية كذلك لاحتلال قوات جيش الاتحاد السوفييتي، لكن مدةً قصيرةً في نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي الواقع، لم تمتلك الأمة الصينية كامل سيادتها الوطنية على كل الأراضي الصينية إلا عام ١٩٤٩م، وهو عام قيام الجمهورية الشعبية الصينية على يد القائد الشيوعي

يرتكز على إقامة الصناعات الصغيرة في الحقول والريف، وعلى الرغم من تسبّبه بمجاعة هائلة أودت بحيات الملايين من البشر إلا أنه أطلق لاحقاً شرارة الصناعات الصينية التي غزت العالم اليوم. وكذلك مشروع الثورة الثقافية Cultural Revolution، أو ثورة الكتاب الأحمر، فمع من أنه استند بشكل واسع إلى غسل أدمغة الأجيال الشابة لمحاربة المتنفّذين من قيادات الحرس القديم وعزلهم، وبهذا أطلق يد ملايين طلاب الثانوية وطلاب الجامعة لتغيير القيادات المعارضة لحكم المتنفّذين في الحزب الحاكم وإزالتهم، بل



ديمتري مندلييف


ميخائيل تسفيت


يورجي جاجارين

الشهير ماو تسي تونغ. وعلى الرغم من الأهمية البالغة للثورة السياسية بوصول الشيوعية إلى مقاليد الحكم في الصين إلا أن التغيّر الأهم كان هو تغيير بنية المجتمع الصيني وفكره؛ مما أفرز ثورات اجتماعية حرفت الصين من تقديس الآباء والأجداد وفق التعاليم الكونفوشيوسية إلى تقديس الوطن. صحيح أن كثيراً من هذه الثورات الاجتماعية والفكرية الصينية تسبّبت بكوارث هائلة إلا أن لها بعض الآثار التي تمّ تحسينها لاحقاً؛ فمثلاً: مشروع القفزة الكبرى إلى الأمام Great Leap Forward، الذي انطلق في عام ١٩٥٨م، كان

إهانتهم وتحقيرهم؛ أقول: على الرغم من الخطورة الكبيرة لمثل هذا الحراك الشعبي الشبابي المنفلت الزمام إلا أنه زرع في الشباب فكرة التغيير وكسر هيبة ما هو راسخ في المجتمع؛ لهذا لا عجب أن نجد بعد ذلك بعدة عقود مجموعة إضافية من الطلاب تواجه الحكومة بحركة احتجاجية تاريخية في عام ١٩٨٩م في ساحة تيانانمين الشهيرة في بكين، التي تقابل ميدان التحرير في مصر؛ مما أجبر الحكومة الصينية على انتهاج سياسة أقلّ قمعية وتسلطية.

على كل حال، نتيجة لهذا التاريخ السياسي المضطرب،

وتعرّض الصين للاحتلال المتكرّر، ونتيجة لمنهجية الانعزال في أثناء سنوات الضياع التي شلّت تفكير الحضارة الصينية عدة قرون، لا غرابة أن نجد أن التقدم العلمي الصيني (الثورة العلمية الصفراء) تأخّرت كثيراً، ولم تظهر على المسرح العالمي إلا في النصف الأخير من القرن العشرين. الجدير بالذكر أن الثورة العلمية في الصين تأثّرت بالأفكار الروسية في الصناعة؛ لهذا بدأت بالاهتمام بالصناعات الثقيلة، وتطوير التقنيات العسكرية، إلا أنها تميّزت كذلك باستنادها إلى الموروثات الصينية الخالصة؛ لهذا اشتهر

في انتظار النهضة العلمية

إن استلهام دروس التاريخ على درجة عالية من الحيوية؛ لكي نعرف الأمور التي تسهم في ضمان نجاح الثورات السياسية وتدعيمها. إن عدداً ملحوظاً من كبريات الثورات السياسية على مرّ التاريخ كانت مصحوبةً بطفرات اقتصادية أو حراك اجتماعي أو نهضة علمية ساهمت في تدعيم ركائز تلك الثورات السياسية. وقد حان الوقت أن تقوم الشعوب العربية في تقليد الأمم الحضارية التي سبقتنا، وأن نفعل مثلما فعلوا بأن ندعم ثوراتنا السياسية بثورة (نهضة) علمية أو مشروع إصلاح اقتصادي أو استقرار اجتماعي.

العلماء الصينيون باستخدام طبّ الأعشاب، وطبّ الإبر الصينية. عموماً، أخذ العلماء الصينيون، بدعم من الحكومة الشيوعية في أثناء سنوات الحرب الباردة، يردمون الفجوات المعرفية التي كانت تفصلهم عن العالم الغربي المتقدم، فنجح العلماء الصينيون في تصنيع أول قنبلة ذرية في عام ١٩٦٤م، وتم إطلاق أول قمر صناعي صيني في عام ١٩٧٠م. وبالطبع، لم يصل العلماء الصينيون إلى التميّز المطلق في دنيا العلوم؛ فعدد العلماء الصينيين الذين نالوا جائزة نوبل لا يزيد على سبعة: واحد في الكيمياء، وآخر في الطب، وخمسة في علم الفيزياء. واللافت في الأمر أن أغلب هؤلاء العلماء حصلوا على تلك الجوائز في السنوات العشرين الأخيرة، وإن كان بعضهم حصل عليها نتيجة أبحاثهم التي تمّت في أثناء دراساتهم في أمريكا أو بريطانيا؛ لهذا يصعب نسبتها إلى التفوق العلمي في الصين، كما أن بعضهم حاصل أصلاً على الجنسية الأمريكية. لكن في السنوات الأخيرة بدأ العلماء الصينيون يُجرون أبحاثاً متميزة في المختبرات الصينية؛ مثل: العالم الصيني تشارلز كاو الذي استقطب من أمريكا، وأقيم له مختبر أبحاث متطور في هونج كونج استحقّ بعدها من نتاج هذه الأبحاث جائزة نوبل في الفيزياء عام ٢٠٠٩م. صحيح أن العلم الصيني مازال يتدرج ويتطور، ولم يصل بعد إلى مرحلة التميّز والنضج، بينما في المقابل نجد أن العلماء اليابانيين أصبحوا بحقٍّ في مصافّ أشهر العلماء في الغرب، وللتدليل على ذلك يكفي أن نعلم أن العلماء اليابانيين حصلوا على نحو ١٢ جائزة من جوائز نوبل، لكن المفاجأة ذات الدلالة الكبرى أن ثمانية من هذه الجوائز تمّ الحصول عليها في السنوات العشر الأخيرة، بل إن أربع جوائز حقّقتها اليابان في عام ٢٠٠٨م وحده، وهذا يدلّ بشكل واضح على أن العلوم اليابانية أصبحت أكثر تطوراً في العقود الأخيرة، وأن العلماء الصفر بدؤوا -مع قصر قامتهم- يناطحون عمالقة الشمال.

هل نحن على مشارف ثورة علمية إسلامية؟

كما لاحظنا، فإن النسق التاريخي يتكرر كثيراً في عدد من الحضارات البشرية؛ فحصول ثورة سياسية أو اجتماعية كبرى يكون بمنزلة الهزة أو الرجفة التي تردفها وتتبعها ثورة علمية في شكل من الأشكال. والسر في ذلك، والعلم عند الله، راجع بكل بساطة إلى قاعدة التنافس والتدافع بين الحضارات والكيانات السياسية الكبرى، وهو ما أشار إليه المؤرخ الإنجليزي نيل فيرجسون في كتابه الماتع (الحضارة)؛ إذ أوضح أن من أسباب بدء تفوق الغرب على بقية العالم (the west and the rest) منذ مطلع القرن السادس

عشر أن الدويلات الأوربية الصغيرة المتنوعة الأعراق واللغات بدأ بينها صراع تنافسي محموم دفعها إلى استثمار جميع الطاقات والقدرات، ليس فقط للبقاء والحفاظ على كينونتها، لكن لتوليد إمبراطوريات شكّلت مجرى التاريخ؛ مثل: الإمبراطوريات الإسبانية، والبرتغالية، والهولندية، والروسية، والبريطانية، والفرنسية، والنمساوية. وعلى نسق حتمية التنافس competition نفسه نجد أنه إذا حصلت ثورة سياسية كبرى فهي في البداية تكون ثورة ناشئة، وقد تُجهض أو تُعرقل بواسطة خصومها كما هو متوقّع؛ لهذا تحرص بجميع الوسائل المتاحة أن تقاوم، وأن تدعم موقفها وكيانها؛ لذلك تستعين بالموارد المالية المتاحة، وبالجموع البشرية، وليس من الغريب إذاً أن تحاول تنشيط الإنتاج العلمي والتقني كإحدى وسائل الدفاع المشروعة لحماية الثورة ومكتسباتها. يقول الأديب البريطاني صمويل جونسون، صاحب القاموس الإنجليزي الشهير: إن الحرب تشحذ الذكاء؛ لذلك كانت الحروب والصراعات السياسية على مدار التاريخ أماً وحاضنةً لأهم الاختراعات البشرية. ولك أن تراجع القائمة الطويلة من الاختراعات والمكتشفات التي تسبّبت بها الحرب العالمية الأولى (حرب الكيميائيين)، والحرب العالمية الثانية (حرب الفيزيائيين).

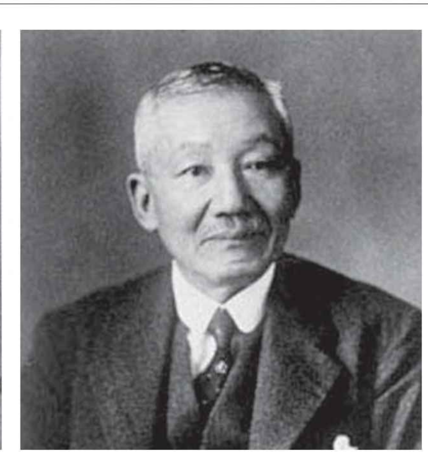
وفي هذا السياق، ليس غريباً أن نفهم كيف أن الثورة الإيرانية التي انطلقت في عام ١٩٧٩م، عرفت بعد تهوّرها المستعجل في تصدير الثورة، وبعد استنزافها في حرب الخليج الأولى، أنها لكي تنافس على المسرح الدولي لا بد من توظيف كلّ الإمكانات والمقدرات الدينية والعلمية. ومن هنا بدأ الإصرار والحماس الكبير للأمة الإيرانية على تملّك ناصية التقدم العلمي والتقني، وعبر السنوات الماضية أصبحت الجمهورية الإيرانية تملك برامج متقدمة في المفاعلات الذرية، والصورايخ البعيدة المدى، وتصنيع الأجهزة الحديثة للروبوت والليزر، فضلاً عن صناعة منظومة متكاملة للقطع العسكرية، بل لدى الإيرانيين خطة طموح للشروع في برنامج غزو الفضاء.

من هذا وذاك، وفي ظلّ حركات الربيع العربي المتواصلة، التي يظهر أنها لن تستقرّ سريعاً، وبسبب الاحتمال الكبير لتعرّض هذه الكيانات السياسية والحضارية الوليدة للمضايقة، أو الاحتواء، أو حتى الصراع من قبل الكيانات السياسية المعادية لتوجّهها؛ مثل: الكيان الإسرائيلي، والجمهورية الإيرانية، أو حتى الدول الغربية التي لن تقبل بكيانات سياسية قوية خارجة عن السيطرة، أقول: إن الثورة السياسية العربية الوليدة لا خيار لها إلا استنفار كلّ الطاقات والإمكانيات المتاحة، التي منها - بلا شكّ - القدرة العلمية والتقنية. وفي تصوّري الشخصي أن السنوات المقبلة

العلم الصيني مازال يتدرج ويتطور، ولم يصل بعد إلى مرحلة التميز والنضج، بينما في المقابل نجد أن العلماء اليابانيين أصبحوا بحق في مصاف أشهر العلماء في الغرب

بمشيئة الله قد تشهد فيها بعض البلدان العربية حصول تقدم علمي تقني موجّه إلى هدف معين، لكن للأسف لن تكون ثورة علميةً حقيقيةً؛ بمعنى: سوف يحصل اهتمام وتوظيف للعلم والتقنية لكي تستخدم فقط كأحد أسلحة الصراع السياسي الحضاري مع الخصوم، لكن ليس لإحداث ثورة علمية حقيقة تنتهي باستعادة أمجاد العصور الذهبية للعلوم والحضارة الإسلامية؛ لنكون نحن سادة الكون وقادته في العلم والتقنية؛ إذ يحتاج تحقيق هذا الأمر إلى مدة زمنية طويلة ومتدرّجة ودعم مالي هائل غير متوافر حالياً، والأهم

من ذلك حصول تغيّر في طريقة التفكير لدى القيادات والشعوب العربية على حدٍّ سواء؛ للاقتناع بأهمية العلم ودوره في تقدم الشعوب، وما يتبع ذلك من جعله أولويةً قوميةً ووطنيةً كبرى. فحسب النظرة الفلسفية التي طرحها العالم والمفكر الأمريكي توماس كوهن في كتابه الذائع الصيت (بنية الثورات العلمية) لا بد حتى تنبثق ثورة علمية جوهرية أن تقوم شريحة داخل المجتمع العلمي بالشعور بأن النمط/ النموذج الإرشادي paradigm العلمي السائد قد أخفق في إكمال تفسير الظواهر العلمية، ولا بد من الثورة عليه، إما بتصحيحه وإما بإلغائه، وتطوير نموذج إرشادي جديد. بناءً على هذه الفلسفة، يمكن على المدى القصير لبعض عباقرة العلماء العرب والمسلمين إحداث طفرة علمية في مجال علمي محدد، لكن قطعاً لن نستطيع كأمة أو حضارة عربية إحداث ثورة علمية متكاملة ومتشعبة في مجمل النواحي العلمية والتقنية. مختصر العبارة: حتى نصبح سادة الكون وقادته في التقدم العلمي لا بد من حصول ضعف شديد وتقهقر لدى الدول العلمية المتقدمة حالياً، ثم حصول طفرة علمية متدرّجة ومتزايدة لدينا في العالم العربي.


هانتارو


ماو تسي تونغ


تشارلز كاو

الثورة العلمية

الثورة العلمية Scientific revolution، أو التقدم العلمي Scientific progress، هو فكرة أن العلم يزيد من قدرة حلّ المشكلة من خلال تطبيق بعض الأساليب العلمية. والهدف الأساسي من كلّ تقدم علمي هو تذليل الصعاب التي تواجه الناس، وتأمين حياة أكثر رخاءً وسعادةً لهم، وهو الهدف نفسه الذي سعى العلماء إلى تحقيقه من خلال المخترعات الجديدة التي يطالعون العالم بها كل يوم، وهذه المخترعات ليست وقفاً على عصر محدد أو حقبة تاريخية معينة، بل هي محصّلة جهود متّصلة وأفكار وتطبيقات متتالية؛ فكأنما هي بناء شامخ يرسي أحدهم لبنته الأولى، ثم تتابع السواعد لترفع جدرانه العالية، وتنعم الأجيال الجديدة بما أبدعه السلف من منجزات في ساحة الحياة الرحيبة.

المصدر: الموسوعة الحرة على الإنترنت (ويكيبيديا).

الصيام ورحلة الإيمان

يس قطب الفيل
البحيرة – مصر





قصيدة

نراك تقبل بالخيرات ألوانا ... فنحتفي بك أرواحاً وأبدانا

ويستفزّ الخطى جوع ليصرفنا ... عن التألق فوق الأرض أحيانا

فلست تبصرنا إلاّ على ثقة ... باللّه في صومنا نخضر وديانا

يا رحلة الصوم، ماذا فيك يدفعنا ... غير التجرّد مما اجتاح دنيانا؟!

والصوم منحة ربي لا يجود بها ... إلا لمن أورقوا في الأرض إيمانا

ونحن في كلّ عام لا يطيب لنا ... إذا أتيت –هوًى– أو نزدهي شانا

إلا إذا امتد صوت من مآذننا ... للّه يسأله صفحاً وغفرانا

***

يا رحلة الصوم والأيام تحملنا ... إلى زمان به تصحو نوايانا

هاتي لنا من قوانا ما يُعيد لنا ... مجداً على الأرض أشبعناه خذلانا

مهد الخلافة لا يشكو من انتهكوا ... في كربلاءٍ بقايا من بقايانا

وإنما هو يبكي ما ألمّ به ... من فرقة غامرت حتى بموتانا

ترى أيشفع والإعصار يلفحنا ... أنا عجزنا وبات العجز مثوانا؟!

يا ليت أنّا وشهر الصوم يوقفنا ... على الحقيقة نخذى من خطايانا

وتسترد القوى ما كان مؤمنة ... أن ليس يحبطها دهر وإن عانى

***

هذا هو الأمل المرجو في زمن ... لم ينجُ منه أبيّ أينما كانا

دستوره البغي، والعدوان شرعته ... ونهجه أشبع المحروم حرمانا

ويدّعي أنه عصر بلا سفهٍ ... حتى وإن هو فينا اختلّ ميزانا

يا رحلة الصوم، إن الغدر حاصرنا ... واستلّ منا طموحاً عاش يهوانا

ونحن من وثقوا في الحرب سطوتهم ... و(بدر) تدفعنا للنصر فرسانا

ترى أنرجع للماضي بغير تقًى ... يجتثّ كل خضوع شلّ مسعانا؟!

إن التحام قوانا إن هي التحمت ... ترنح المعتدي، واهتز بنيانا

***

يا أمتي، أين من يسعى بحكمته ... ليجعل الأرض للمحروم بستانا؟

إنّا إلى اللّه لم نبرح نمد يداً ... واللّه يمنح من قد شاء سلطانا

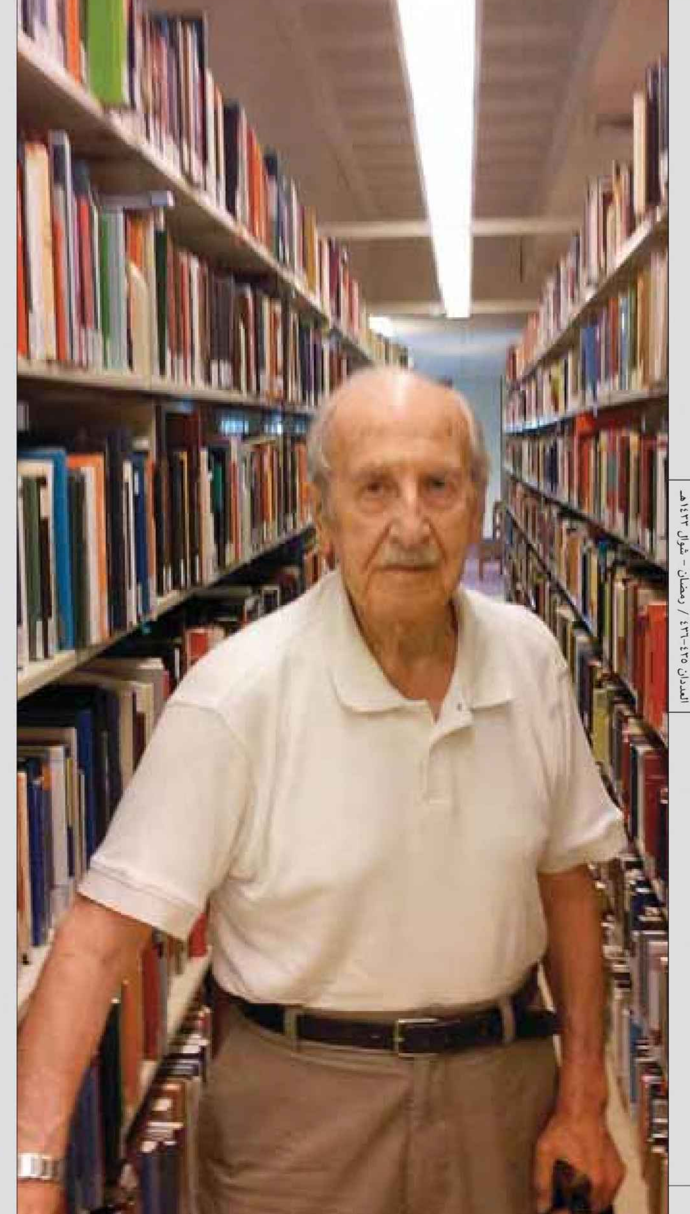
ونحن كنّا –وفي شهر الصيام– قوى ... كم أوقفت من عدا بطشاً وطغيانا

ونحن بالصوم ما زلنا على أمل ... في أرضنا نتحدى من تحدانا

عرفان شهيد:



اهتمامي بنجران قادني لاكتشاف مخطوطة سريانية فريدة



لا يجري نقاش أو بحث في الأوساط الأكاديمية العالمية عن تاريخ الجزيرة العربية في عهدها قبل البعثة النبوية، وأوضاعها الدينية، وعلاقتها بمحيطها الخارجي، إلا ويرد اسم المؤرخ والعلامة والباحث البروفيسور عرفان شهيد -أستاذ كرسي سلطنة عمان للدراسات العربية والإسلامية في جامعة جورجتاون الأمريكية العريقة منذ تأسيس هذا الكرسي عام ١٩٨٢م حتى عام ٢٠٠٨م عندما تقاعد رسمياً بعد بلوغه الثمانين من العمر- بوصفه رائد البحث العلمي العميق والأصيل في الجوانب المختلفة لهذا التاريخ المعتمد على المصادر الأصلية في اللغات: اللاتينية، واليونانية، والسريانية، والعربية، والتركية، والفارسية، والإنجليزية، والفرنسية التي يجيدها؛ فهو بحق المرجع فيه.



أجراه في واشنطن: عوض البادي
الرياض – السعودية

ولأن العالم لا يتقاعد فهو يواصل إلى اليوم البحث لإكمال مشروعه الموسوعي، وتاج أعماله، الموسوم بـ(العرب وبيزنطة)، هذا المشروع الذي توّج حتى الآن بعشرة أسفار باللغة الإنجليزية تناولت تاريخ القرون الميلادية الستة التي سبقت حسب قوله «الحدث التاريخي العظيم، وهو بعثة النبي محمد» صلى الله عليه وسلم، ويرى أيضاً أن هذا المشروع لن يكتمل إلا بدراسة هذا الحدث، ودراسة تاريخ القرن الأول له؛ لذلك فهو يسابق الزمن لإنجاز هذا التاريخ بهمة ونشاط وروح شاب، متمثّلاً قول المتنبي:

إذا فلّ عزمي عن مدى خوف بعده

فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما

هذه القامة المتميزة لم يقتصر اهتمامها وإسهامها على كتابة هذا التاريخ، بل تشعّبت لتشمل تاريخ الشعر الجاهلي الذي يحفظه عن ظهر قلب، ويستشهد بمعلقاته في كل مناسبة، ويقرض الشعر على وحيها. ويمتد اهتمامه الشعري إلى الشعر الكلاسيكي الحديث؛ فقد ألّف كتاباً عنه عام ١٩٨٦م بعنوان: العودة إلى شوقي، أو بعد خمسين عاماً. وكذلك تناول الشعر الفارسي؛ إذ يجيد اللغة الفارسية، ولا غرو أن تكون محاضرته عند تدشين كرسي سلطنة عمان في جامعته عن عمر الخيام الفيلسوف الشاعر. إضافةً إلى هذا الاهتمام تناول الأدب العربي الأمريكي (أدب المهجر)، وتناول رموزه للتأسيس لفهم بداية العلاقات العربية الأمريكية، وفي هذا السياق نجده قد اختار الحديث عن أمين الريحاني (١٨٧٦- ١٩٤٠م) بوصفه رسولاً للعلاقات العربية الأمريكية في محاضرة تقاعده. وفي مجال الدراسات الإسلامية كانت له إسهاماته في مجال الدراسات القرآنية؛ إذ ركّز فيها في تدريسه أجيالاً من طلبة الدراسات العليا في جامعة جورجتاون هذه الدراسات.

قادني اهتمامي بنجران إلى اكتشاف مخطوطة فريدة باللغة السريانية كان اكتشاف أمرها عسيراً؛ لأنه استلزم مراسلات مع القدس وبغداد وماردين وإسطنبول

عرفتُ عن عرفان شهيد العالم كثيراً من خلال كتابه الشهير (شهداء نجران)؛ أي: أصحاب الأخدود، المنشور عام ١٩٧١م، ومن خلال بعض مقالاته المهمة عن تاريخ أقوام شمال الجزيرة العربية قديماً، المنشورة في دوريات عالمية مختلفة. لكن لم تُتَح لي الفرصة لمعرفته الشخصية إلا هذا الصيف في مكتبة جامعة جورجتاون مع أسفي على عدم معرفته سابقاً؛ إذ كنتُ من روّاد هذه المكتبة خلال تسعينيات القرن الماضي. سعيتُ في هذا اللقاء إلى التعرّف إليه شخصياً، ومعرفة آخر أبحاثه عن تاريخ الجزيرة العربية القديم، وقد استجاب مشكوراً لرغبتي، وكان هذا الحوار:

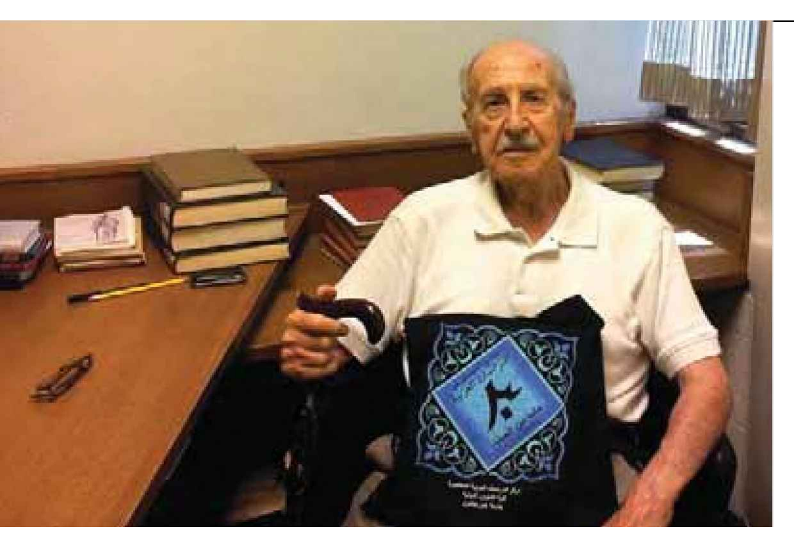
* من هو الدكتور عرفان شهيد؟ وكيف تشكّل علمياً؟

- يسعدني أن أجيب عن أسئلتك. أنا عربيّ على دين عيسى من ناصرة الجليل، وُلدت عام ١٩٢٦م. كانت دراستي في فلسطين في الكلية العربية في القدس الشريف، التي كان مديرها أحمد سامح الخالدي، وهو والد الدكتور وليد الخالدي المعروف في العالم العربي. ثم شددت الرحال إلى جامعة أكسفورد في إنجلترا؛ لإكمال دراستي للغتين اليونانية واللاتينية، ومعهما دراسة التاريخ الإغريقي والروماني القديم. والسبب واضح أنني لم أشأ أن أضيف رقماً إلى عدد المؤرخين الكلاسيكيين، فأردتُ دراسة هذه الحضارة القديمة؛ لأن حضارتنا الإسلامية في الفلسفة والعلوم عندما أخذت شكلها الرائع في العصر العباسي كانت تعتمد على التراث اليوناني أو الهيليني، وعلى هذا التراث بنى فلاسفتنا الكبار: الكندي، وابن سينا، والفارابي، وابن رشد، والطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي، ما قدموه من إسهامات عظيمة. وبعد أن أكملتُ دراستي في أكسفورد رحلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فالتحقت بجامعة برنستون العريقة لإكمال دراستي العليا. وفي هذه الجامعة أضفت إلى لغتي الأم، وهي العربية، دراسة الفارسية والتركية؛ لأنني شعرتُ أن علماءنا في القرون الماضية، الفرس منهم والأتراك، كانوا يدرسون العربية، ولم يخطر ببال أحد من أسلافنا العرب أن

يدرسوا التركية أو الفارسية؛ فالإسلام أوجد أسرة لغوية جديدة، هي: العربية، والتركية، والفارسية، وكلها كانت تتعامل معاً.

وعندما أكملت دراستي العليا عام ١٩٥٤م، وحصلت على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية، شعرتُ أنني أكملت ثقافتي وتكويني العلمي، وكان عليّ أن أختار المجالات التي ستكون موطن اختصاصي. أول ما خطر ببالي أن يكون موضوعي الكبير الأندلس العربية الإسلامية وعلاقتها بالغرب الأوربي ممثّلاً في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا. وهذا موضوع جليل، أكسبه جلالة أن الأندلس هي قطعة من الإسلام على أرض أوربية، ونحن نعيش في مدة فيها كثير من الترخيص للحضارة العربية، وتجربة الأندلس العربية فيها خير ما يردّ به على هذا الترخيص الشائن؛ فإلى الأندلس، خصوصاً في عصورها الزاهية، كان العلماء في هذه البلاد الأوربية يرحلون طلباً للعلم، وترجمة الكتب الفلسفية والعلمية من العربية إلى اللاتينية وغيرها، ولعلّ القليل من الناس يعرفون أن أوربا حتى القرن السابع عشر كانت تطلب الشفاء لمرضاها من سفرين جليلين مترجمين إلى اللاتينية من العربية، هما: القانون في الطب لابن سينا، والحاوي لأبي بكر الرازي. هذا مَثَل واحد من كثير غيره لا ضرورة لذكرها، وهو ما أردتُ أن أقوم به بعد أن حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة برنستون.

ألحقتني الجامعة لإجراء بحوثي بمعهد الدراسات المتقدمة Institute for Advanced Study التابع لها، وهو معهد كان الانتساب إليه محصوراً على الأساتذة والعلماء وليس الطلاب. وكان أهم من انتسب إليه في تلك المدة عالم الطبيعيات الكبير أينشتاين. ولما قابلت الأستاذ المسؤول عن قسم التاريخ في المعهد قال لي: إن الأنسب أن تبدأ بموضوع سابق للأندلس، وبعده يمكنك أن تعود إلى هذا الموضوع، فسألته: ما هذا الموضوع؟ فقال: الرجوع إلى المشرق، ودراسة تاريخ العلاقة بين العرب وأوربا؛ أي: الرومان وبيزنطة. أعجبتني هذه التوصية؛ لأنني رأيت أن ذروتها ستكون الظهور الإسلامي، والفتح العربي، والوصول إلى الأندلس، وهو الحدث الكبير الذي أكسب العرب وتاريخهم وحضارتهم تلك العالمية التي لا يزالون عليها حتى



د.عرفان شهيد في مكتب قراءته في مكتبة جامعة جورجتاون

الآن. ولأنني اقتنعت بهذا الموضوع كان أول انتساب جامعي لي هو الالتحاق بمعهد دومبارتون أوك Dumbarton Oak، وهو معهد تابع لجامعة هارفارد، وهذا المعهد له اهتمام خاصّ بتاريخ بيزنطة، وهنا بدأ بحثي في هذا الموضوع الذي رافقني إلى الآن، وهو أحد الموضوعات الثلاثة التي تدور بحوثي في مجالاتها.

* ما هذه الموضوعات؟

- أولاً: العلاقة بين العرب والروم خلال سبعة قرون، هي القرون التي سبقت ظهور الإسلام، وثانياً: الدراسات القرآنية، وثالثاً: الشعر العربي الجاهلي والحديث.

* قبل الدخول في مناقشة هذه الموضوعات هل لي أن أعرف كيف جرت سيرتك الأكاديمية؟

- شغلتُ أولاً موقع أستاذ مساعد بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، ثم انتقلت إلى جامعة أنديانا في بلومنغتون أستاذاً مشاركاً، ثم جذبتني جامعة جورجتاون؛ لأنها في العاصمة واشنطن، ولقربها من معهد جامعة هارفارد Dumbarton Oak، الذي يُعنى بالدراسات البيزنطية كما سبق أن ذكرت؛ مما مكّنني من متابعة موضوع الروم والعرب، ثم بحوثي في الشعر والدراسات الإسلامية؛ لأن واجبي كأستاذ في جامعة جورجتاون كان في الشعر والدراسات الإسلامية، وهو ما مكّنني من متابعة

بحوثي في المجالات الثلاثة. وهذه الإقامة الأخيرة هي التي أثّرت في حقاً؛ لأن أغلب كتبي نشرتها بعد انتسابي إلى هذه الجامعة عام ١٩٦٣م. وبقيتُ في هذه الجامعة أستاذاً للدراسات الإسلامية، حتى اخترتُ عام ١٩٨٢م قائماً على كرسي سلطنة عُمان للآداب العربية والإسلامية التابع لمركز الدراسات العربية المعاصرة في الجامعة، واستمررتُ في هذا الموقع حتى تقاعدي عام ٢٠٠٨م.

* والآن، لنتحدث عن أعمالك العلمية التي أصبحت مرجعاً، وأبدأ بسؤالي عن دافعك إلى هذه الشمولية في أبحاثك ودراساتك عن هذا الموضوع؟

- أنا من الباحثين الأقلّاء الذين يحبون أن يبدؤوا في تناولهم موضوعاتهم من الألف، وليس من الياء. والحق أن أكثر الزملاء يبدؤون بالياء، وهو ظهور الإسلام والفتوح، ولا يعرفون أن هناك خلفيةً بعيدةً لمن ظهرت بينهم الرسالة المحمدية، وأنه يجب أن نتعمق في دراسة هذه الخلفية حتى نفهم ثم ننصف الحدث الكبير، وهو ظهور الإسلام والفتح العربي. ومصداقية ما أقول ستكون واضحةً في المجلدين الحادي عشر والثاني عشر من سلسلتي (الروم والعرب)، التي ظهر منها حتى الآن عشرة مجلدات، سبعة منها مطبوعة نشرتها دار نشر جامعة هارفارد، وثلاثة نشرها معهد الدراسات البيزنطية في جامعة Louvain University في بلجيكا، وهذه المجلدات الثلاثة الأخيرة كانت مجموعة مقالاتي عن الموضوع، وهي مختلفة عن المجلدات السبعة في أنها مجموعة مقالات، أما المجلدات السبعة فهي تاريخ مسلسل للقرون السبعة التي سبقت ظهور الإسلام من القرن الأول قبل الميلاد حتى أوائل القرن السابع الميلادي. وما ظهر حتى الآن من هذه السلسلة، وهي هذه المجلدات العشرة، هي إسهامي المفصّل لتاريخ العرب والجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، وهو تاريخ موثّق أشد التوثيق من المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية التي تناولت هذا التاريخ، بينما لم تصل إلينا كتابات عربية مدوّنة عنه؛ لأن العرب كانوا يعتمدون على الرواية الشفهية، لكن كان هناك اعتماد على الشعر الجاهلي عندما كانت صحته تؤيد اعتمادنا عليه لإقامة هذا التاريخ القديم. ولهذه الدراسة أهمية أخرى جليلة القدر، لعلها تنوف على تاريخها، هي أنها مقدمة لدراسة ظهور الإسلام والفتوح العربية الأولى.

* كيف تكون هذه الأهمية؟

- لقد وقفت المجلدات الأربعة الأخيرة من هذه السلسلة على تاريخ الغساسنة، وهم عرب من الأزد، وبعض العرب يقولون: إنهم من مذحج، وأنا لا أرى هذا القول، وأعتمد شعر حسان بن ثابت شاعر الرسول، وهو ابن عمهم:

إما سألت فإنا معشر نجب

الأزد نسبتنا والماء غسان

هؤلاء كانوا حلفاء للروم، وسمحت لهم هذه الإمبراطورية بأن يستوطنوا القسم الشرقي في بلاد الشام؛ ليحموها من غزوات البدو، فأقام هؤلاء قرناً ونصف القرن حتى أفلحوا في تعريب هذه المنطقة وتهيئتها للفتوح الإسلامية التي أفلحت بدورها في تعريب المنطقة بكاملها. كما أن رحلات الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة، خصوصاً بعد زواجه من السيدة خديجة، عرّفته بأحوال هذه البلاد، لاسيما التوتر الديني بين عربها، وهم الغساسنة، والسلطان المركزي في القسطنطينية. وهذا يفسّر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كتبه بعد صلح الحديبية اختار الملك الغساني وعظيم القبط في مصر؛ لأنه فهم أن هؤلاء لم يكونوا على وفاق مع هرقل بسبب التوتر الديني، وكانوا أقرب إلى تقبّل كتب الرسول من الإمبراطور

في المصادر الأجنبية إشارات بأن الملكة العربية ماوية، التي ثارت على الدولة البيزنطية، وانتصرت عليها في مواقع ذكرها المؤرخون بإعجاب، كان لها شعراء يتغنون بهذا النصر

هرقل الذي أرسل إليه الرسول كتاباً لاحقاً لهذين الكتابين عندما جاء هرقل إلى القدس بعد هزيمته فارس. وقد ظهر فهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) الوضع الديني في البلاد الرومانية عندما أرسل عظيم القبط جواباً طيباً، ومعه ماريه القبطية، لكن الغساني لم يستجب كما أراد الرسول.

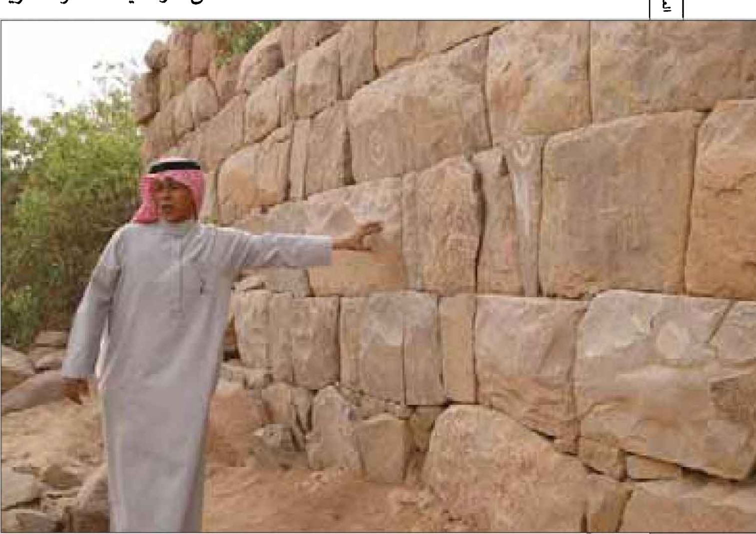
*** هل هذا ما قاد بحثك إلى التعمق في طبيعة العلاقات القائمة بين العرب في موطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية والإمبراطورية المحيطة بهم، وهي بيزنطة؟**

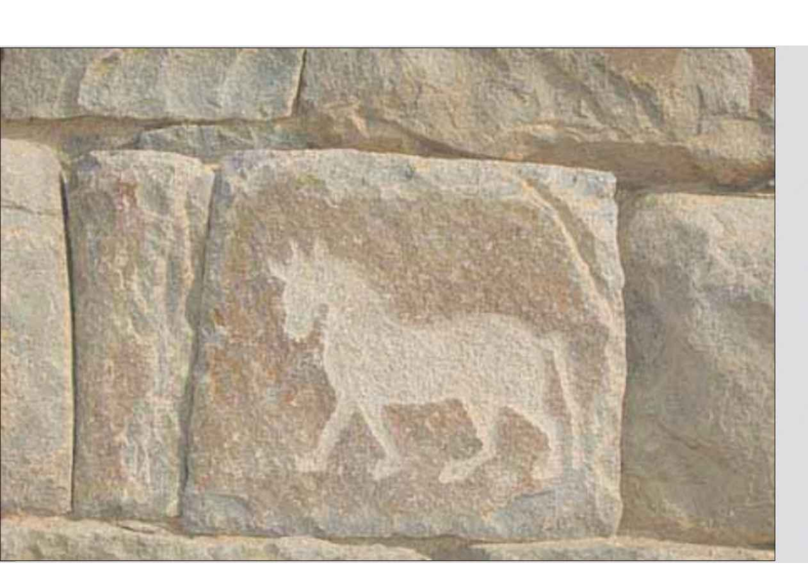
– الغساسنة قوم من الجنوب، والرواية تقول: إنهم أقاموا بنجران في أثناء رحلتهم إلى بلاد الشام، وهو واضح من استصراخ نصارى نجران ملك الغساسنة جبلة بعد أن اضطهدهم يوسف ذو نواس الحميري. وهذا الاستصراخ مؤيّد تأييداً واضحاً برسالة سريانية وجّهها أسقف يُدعى سمعان الأرشمي يدعو إلى نصرة أهل نجران والجنوب العربي ضد يوسف ذي نواس الملك الحميري الذي اضطهدهم.

*** هل كان هذا سبباً لاهتمامك بتاريخ نجران في تلك المرحلة، الذي قدمت عنه عملك الشهير (شهداء نجران) المنشور عام ١٩٧١م، الذي لا يزال يحظى بالاهتمام في الأوساط الأكاديمية؟**

– قادني اهتمامي بنجران إلى اكتشاف مخطوطة فريدة باللغة السريانية كان اكتشاف أمرها عسيراً؛ لأنه استلزم مراسلات مع القدس وبغداد وماردين وإسطنبول، وأخيراً أفلحت في اكتشافها في الخزانة البطريكية في دمشق. وهذه المخطوطة هي قسم من مجلد ضخم يحوي وثائق سريانية أخرى مهمة تقاطر العلماء على دراستها والاستفادة منها بعد أن أذعتُ وجودها في دمشق. كلّ هذا موثّق في كتابي شهداء نجران، الذي نشرته جمعية Societe des Bollandistes في بلجيكا عام ١٩٧١م. وطوال نصف قرن من رحلتي العلمية القصيرة في هذه الحياة كان ارتباطي بتاريخ الجزيرة العربية وتاريخ نجران ارتباطاً عضوياً، وأسعد كلما سمعت أن هناك اهتماماً بتلك المنطقة المهمة في المملكة العربية السعودية. وهذا يقودني إلى القول: إن جزءاً من المجلدات السبعة التي سبق أن ذكرتها، وهو المنشور عام ٢٠٠٢م، موقوف على آثار الغساسنة في بلاد

من آثار مدينة الأخدود الأثرية





الشام، وهو هدية مني إلى علماء الآثار في المنطقة؛ لكي يقوموا بدراسة أثرية للبحث عن هذه الآثار بطريقة منهجية بعدما كشفتُ في هذا المجلد عن المواقع التي يجب أن يُنقّب فيها، وهذا العمل يذكّرني بما قام به الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في تنقيباته الأثرية التي أدّت إلى اكتشاف قرية الفاو، وما كان من إزاحته الستار عن آثارها ونقوشها الكندية، وأنا أحيّيه وأدعو له بطول العمر، آملاً أن يكمل تلامذته جهوده في التنقيب عن آثار الجزيرة العربية منبت العرب والشعوب السامية جميعاً.

*** لنعد إلى كتاب (شهداء نجران) والاحتفاء المتزايد به إلى اليوم، ما السر في ذلك؟**

- شهداء نجران وثيقة فريدة؛ لأنها مزامنة لحوادث نجران عام ٥٢٣م، التي هزّت الشرق الأدنى بقسوتها ووحشيتها؛ إذ تمّ فيها قتل المسيحيين في نجران وجنوب الجزيرة، الذين لم يمتثلوا لأمر يوسف الحميري، وصدى هذه الحوادث يمكن أن يُسمع في سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (البروج: ٤). يعرف أصحاب الأنساب؛ مثل: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، أن عرب الجاهلية فيهم من قبل التوحيد بشكله العبري، ثم جاءت النصرانية، وبعضهم -بل كثير منهم- قبلوا التوحيد بشكله النصراني قبل مجيء الإسلام الذي يؤكّد علاقته بهاتين الرسالتين، وحوادث نجران غلّبت شيوع النصرانية بين عرب الجزيرة على اليهودية في تلك المرحلة. وآمل أن يقوم الباحثون الآثاريون بعمل حملة أثرية تستهدف إزاحة النقاب عما تكتنزه أرض نجران والمنطقة الجنوبية من آثار تلقي الضوء الكاشف على هذه الحقبة من تاريخ الجزيرة.

*** هل انعكس هذا الكشف في هذا الكتاب على مسيرتك العلمية؟**

- أحدث الكشف ضجةً في الدراسات السريانية؛ لأن الوثائق عن نجران قليلة، والمعروف عنها كان متوافراً في كتابات لاحقة بعيدة من زمن الأحداث. وقد جعلني هذا الكشف مرجعاً عن هذا الموضوع، وأثار هذا الكتاب عاصفةً من الاهتمام بنجران وحوادثها بعد أن كانت قد اختفت من اهتمام الباحثين مدة طويلة؛ فأصبح العلماء يكتبون عن الموضوع، ويتقاطرون إلى دمشق لاستنساخ وثائق أخرى من المجموعة التي وجدت فيها وثيقة نجران، وهذه الفئة أثارت اهتماماً في العلاقة الروحية البيزنطية العربية.

*** هل ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية؟**

- لم يُترجم حتى الآن؛ لأن الباحثين يطّلعون عليه باللغة الإنجليزية، ومع ذلك آمل أن يجد طريقه إلى الترجمة؛ ليطّلع عليه من لا يجيد اللغة الإنجليزية. وأملي أن يسهم ما ورد في هذا الكتاب في إذكاء نشاط التنقيب الأثري في المملكة، وإيلاء منطقة نجران الأهمية التي تستحقها؛ حتى يتيسّر إزاحة الستار عن حدث تاريخي كبير هزّ الشرق الأدنى بكامله. والوسيلة الوحيدة الآن بعدما محّصت الأدلة الأدبية المكتوبة هو التنقيب؛ لأنه الوسيلة الوحيدة الباقية لزيادة معرفتنا بهذا الحدث الجلل.

*** لنعد ثانيةً إلى سلسلة مشروعك العلمي الكبير أو موسوعتك (العرب والروم)، هل أثارت أي اهتمام في الدوائر العلمية الأكاديمية التاريخية؟**

> **طوال نصف قرن من رحلتي العلمية القصيرة في هذه الحياة كان ارتباطي بتاريخ الجزيرة العربية وتاريخ نجران ارتباطاً عضوياً، وأسعد كلما سمعت أن هناك اهتماماً بتلك المنطقة المهمة**

- أثـارت وثيقة نجـران اهتماماً بالعلاقة الرومية البيزنطية العربية، وأسهم ظهور سلسلتي عن تاريخ العرب قبل الإسلام في بدء اهتمام العلماء بهذا العصر السابق لظهور الإسلام؛ إذ لم تكن البحوث والدراسات كثيرةً في بادئ الأمر، وكان الباحثون قلقين بخصوص ما كتبوه عن ذلك الزمن، وكان كثير منهم لا يعرفون العربية، ويعتمدون في تصوّرهم هذا التاريخ القديم على المغرضين من كتّاب اليونان والرومان القدماء، الذين آثروا أن يصوّروا العرب على أنهم بدو رحّل ليست لديهم حضارة قائمة. لقد وفّرت لهم سلسلتي المعتمدة على مصادر يونانية ولاتينية وسريانية وشيء من الشعر الجاهلي الصحيح معيناً آخر لتناول ذلك العصر، وإثبات عكس ذلك، ومن المصادر نفسها بعد تمحيصها.

*** هل اكتملت هذه الموسوعة أو السلسلة؟**

- اكتملت عن القرون السبعة السابقة لظهور الإسلام، والآن أكتب ما أعدّه ذروة هذا العمل، وهو كتابة مجلدين آخرين: المجلد الأول عن ظهور الإسـلام، ونجـاح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والمجلد الثاني عن الفتوحات الأساسية في السنوات العشر التي تلت وفـاة الرسول (٦٣٢- ٦٤٢م) بعد الانتصارات الرائعة، وأهمها: أجنادين، واليرموك، وخاتمتها سقوط الإسكندرية، وفتح مصر التي فتحت المجال لفتوح شمال إفريقية والأندلس، ومعركة نهاوند (٦٤٢م) التي فتحت ما بقي من الإمبراطورية الساسانية، والولوج إلى وسط آسيا، والانحدار إلى الهند.

بيزنطة والعرب في القرن الرابع (الميلادي)

BYZANTIUM AND THE ARABS IN THE FOURTH CENTURY

روما والعرب

ROME AND THE ARABS

A PROLEGOMENON TO THE STUDY OF BYZANTIUM AND THE ARABS

*** ما الذي ستضيفه هذه الدراسات عن الفتوحات وقد كتب كثيرون عنها؟**

- إسهامي في مسألة الفتوح هو تفسير الأهـم على المهم في الفتوح الأولى، والتركيز في عبقرية جندي الإسلام الأول خالد بن الوليد، الذي كان المفتاح الصحيح لهذه الفتوح الجليلة. وفي هذا السياق سأركز في دور أبي بكر الذي لم يوفِّه المؤرخون حقه؛ لأن خلافته كانت قصيرة، ولأن الذي جاء بعده كان عمر الذي طغى بشخصيته على الخلفاء الراشدين. والواقع أن أبا بكر هو الإستراتيجي البارع الذي أكد الانتصار الإسلامي ضد الروم عندما أسرع إلى دعوة خالد بن الوليد إلى أن يترك الجبهة العراقية، ويسرع إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين التي كانت قد خسرت معارك الشام.

هذا سيميز هذين الكتابين؛ لأن ما نُشر حتى الآن لا يُولي ما ذكرناه العناية الكافية، فضلاً عن أن هذه الدراسة ستكون مرتبطة بسلسلة طويلة من الأحـداث في تاريخ العـرب قبل الإسلام. وفي الوقت نفسه، آمل من صدور هذين المجلدين باللغة الإنجليزية، وهي لغة يقرؤها العالم، أن تلهم هذه الدراسات باحثين آخرين مستأنسين بهذا المنطلق.

*** لننتقل الآن إلى موضوع اهتمامك الآخـر، وهو الشعر الجاهلي، لـمـاذا أوليـت العصر الجاهلي اهتمامك؟**

- سبب اهتمامي بهذا العصر هو أنه العصر الشعري والأدبي الذي يحتاج إلى عناية بالغة من العلماء؛ لعدة أسباب: أولاً: الشعر الجاهلي أصبح -كما نعرف- مثالاً لتطور الشعر العربي في عصوره المختلفة بعد ظهور الإسلام؛ فالقصيدة المؤلّفة من موضوعات متعددة كانت أرقى ما وصل إليه الشعر الجاهلي (السيمفونية

في الموسيقا). نعم، كانت هناك ردود فعل للقصيدة الجاهلية، ولاسيما مطلعها في البكاء على الآثار وبداوتها، وهي حملة رفع لواءها الفارسيان أبو نواس وبشار، لكنّ أبا تمام أعاد رونقها، ورجعت قافلة الشعراء بعدها إلى العرب تنظّم في هذا الإطار، ولا يزال بعض الشعراء ينظمونه أو يزيّنون مطالعه بذكر الديار حتى في عصرنا هذا بعد ظهور الشعر الحر ونظرياته الجديدة.

ثانياً: نهاية الشعر الجاهلي الزمنية معروفة، وهي ظهور الإسلام وميلاد الشعر الإسلامي، خصوصاً على لسان حسان بن ثابت شاعر الرسول، لكن لا نعرف مبتدأ هذا الشعر الذي وصلنا وهو في ذروته؛ أي: شعر القصائد، كما في عمل امرئ القيس وغيره من شعراء المعلقات الذين ينتمون إلى القرن الأول قبل الهجرة أو القرن السادس الميلادي. وهذا يقودنا إلى القول: إن هذا الشعر الجاهلي بدأ في قرون كثيرة قبل القرن السادس الميلادي، فبدأت أنقّب في المخطوطات على آثار له في القرن الخامس الميلادي أو القرن الثاني قبل الهجرة، فدهشت عندما اكتشفت أن الشعر العربي كان معروفاً عند الضجاعمة أو السليحيين، وكانوا حلفاء الروم في بلاد الشام قبل الغساسنة، وكان لداود بن هبولة السليحي -أحد ملوكهم- شاعر، وكانت ابنته شاعرة، وقد احتفظ لنا التاريخ الأدبي ببيت واحد لها وهي تردّ على شاعرين كانا يتبجّحان بأنهما قتلا والدها داود بقولهما:

نحن الأوائل أرْدَتْ ظبات سيوفنا
داود بين القرنتين بحارب
وكذلك إنا لا تزال سيوفنا
تنفي العدى وتفيد رعب الراعب
خطرت عليه رماحنا فتركنه
لما قصدن له كأمس الذاهب

فأجابتهما وليدته:

أصابك دونان الخليع بن عامر
ومشجعه الأوباش رهط بن قارب

وهذا دفعني إلى التنقيب عن الشعر الجاهلي في القرن الرابع الميلادي، ووجدت ما يؤيّد تصوري لشيوع الشعر في هذا القرن؛ فقد وجدت في المصادر الأجنبية إشارات تفيد بأن الملكة العربية ماوية، التي ثارت على الدولة البيزنطية، وانتصرت عليها في مواقع ذكرها المؤرخون بإعجاب، كان لها شعراء يتغنّون بهذا النصر. وقد ذكر هذا الشعر مؤرّخ بيزنطي، اسمه Salminius Hermias Sozomenus (٤٠٠-٤٥٠م)، وذكر أنه سمعه ينشد في جنوب بلاد الشام. وهذا الشعر يرجع إلى القرن الرابع الميلادي؛ لأن ثورة الملكة ماوية وانتصارها على الروم كان في سبعينيات القرن الرابع الميلادي، ولم يكن هذا الشعر الذي قيل في انتصاراتها يختلف عن الشعر الذي نعرفه في أيام العرب عندما ينهض الشعراء للفخر بما حققوه. ومن هنا بدأت التفكير: إلى متى يمكن أن نرجع القهقرى حتى نكتشف القرن الذي شهد ميلاد الشعر الجاهلي؟!. ليس لدينا نصوص أدبية أو مخطوطات، لكن علم الآثار قد يقوم بذلك، إلا أنني وجدت أن سفر أيوب في العهد القديم من الكتاب المقدس عند النصارى واليهود قد يكون أبعد المصادر زمنياً في التفتيش عن أولويات الشعر القديم، والعلماء متفقون أن أيوب الرجل كان أدومياً، وبعض العلماء، منهم الإسرائيلي Avi- Yonah، صرّحوا بأن الأدوميين عرب، وقد أثبتّ بنفسي في إحدى دراساتي هذا القول، وأن اسمهم جاءهم من انتسابهم إلى أدوماتو، أو دومة؛

في سلسلتي الموسوعية (الروم والعرب) مجلد ضخم نشر عام ٢٠٠٢م موقوف على التفتيش على آثار العرب في بلاد الشام في القرن السادس الميلادي أو الأول قبل الهجرة

أي: دومة الجندل المعروفة في شمال الجزيرة العربية؛ فقد هجروها ونسبوا إليها. والسؤال الذي أرجو أن يتناوله العلماء هو: إلى أيّ حدّ يمكن عدّ أيوب عليه السلام من أوائل الذين نظموا الشعر العربي؟. المشكلة أن لغة سفر أيوب لغة عبرية، لكن العلماء فطنوا إلى أن كثيراً من كلمات هذا السفر لا يمكن فهمها إلا بمراجعة المعجم العربي. لقد كان أيوب يطعّم سفره بكلمات من لغته الأصلية، وهي اللغة العربية، ويشير إلى أمكنة عربية خالصة في شمال الجزيرة العربية بعيدة من أرض كنعان، وكان -كما هو معروف- مثله مثل آخرين ممن كفروا بالأوثان وقبلوا التوحيد بصيغته العبرية. والسؤال: إذا كان شعر الشاعر الألماني العبري Heine، الذي كتبه بالألمانية، يعدّ من الأدب اليهودي، أفلا يعدّ أيوب من المنتمين إلى الشعر العربي القديم، فضلاً عن اسمه أيوب العربي الخالص صرفاً ومعنى؟!.

ثالثاً: الإيحاء إلى زملائنا المهتمين بدرجة ما بالشعر الجاهلي بهذه الخواطر؛ لاكتشاف نماذج مخطوطة أخرى جديدة للشعر القديم، قد يكون بعضها أو أهمها في أيدي علماء الآثار، والأمل معقود عليهم لكشف المجهول.

* أولم تكتب شيئاً عن تاريخ الشعر الجاهلي أو الشعر العربي عامةً؟

- إنني أكتب وأنشر منذ عام ١٩٥٥م، وقد أخذ مني عمل حياتي الموسوعي (العرب والروم) كثيراً من سني عمري، لكنني لم أهمل ميولي الأدبية، والشعرية، ودراساتي القرآنية، وحاجات طلابي التعليمية في هذه الجوانب؛ فتدريسي يتّصل بالشعر العربي قبل الإسلام وبعده، وقد قادني ذلك إلى كتابة بعض المقالات التي أعدّها مهمةً عن الشعر الجاهلي عن: امرئ القيس ووفاته في أنقرة، ومعلقة زهير بن أبي سلمى؛ إذ نُشرت وطبول الحرب على العراق تُقرع في واشنطن، وكان عنوان المقال (زهير شاعر السلام). وولعي بالشعر الجاهلي يدفعني -إن أمدّ الله في عمري- إلى أن أكتب كتاباً عن الشعر الجاهلي. وفي هذا السياق نشرت عام ١٩٨٦م كتاباً باللغة العربية عن الشعر الحديث، وكان عن شوقي وشعره، وكان عنوانه: (العودة إلى شوقي).

* ما مدى اهتمامك الشخصي بالبحوث الأثرية؟

- في سلسلتي الموسوعية (الروم والعرب) مجلد ضخم نُشر عام ٢٠٠٢م موقوف على التفتيش على آثار العرب في بلاد الشام في القرن السادس الميلادي أو الأول قبل الهجرة. ولأنني كنت قد أشبعت البحث في هذا القرن بأربعة مجلدات من هذه السلسلة، معتمداً على المصادر الأدبية (المخطوطات)، لم يبقَ إلا ما يمكن استخراجه من الآثار التي لا تزال في انتظار من يعتني بها، وهي كثيرة ومنتشرة في بلاد الشام من الفرات إلى شبه جزيرة سيناء، وقد سهّلت على علماء الآثار مهمة التنقيب عن هذه الآثار عندما ألّفت لهم هذا الكتاب الذي يحتوي على كلّ ما يريدونه من معلومات عن مواطن هذه الآثار. لقد شاركت عامي ١٩٧٧ و١٩٧٩م في مؤتمرين من مؤتمرات (المصادر التاريخية للجزيرة العربية)، التي تعقدها جامعة الملك سعود في الرياض، وقدّمت مشاركتين عن تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأولى بعنوان (حملة امرئ القيس ضد نجران)، والثانية بعنوان (نظم الشعر العربي في القرن الرابع الميلادي). وقد اطّلعت خلال هاتين المشاركتين على الإنجاز

من مدينة الأخدود الأثرية



الذي حققه الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في عمله الأثري في قرية الفاو، وزاد من حماستي التنبيه على أهمية البحث الأثري في الكشف عن الوجود العربي في بلاد الشام في هذا العهد القديم، وقمتُ أنا شخصياً بدراسة أثر واحد من هذه الآثار كان قد نقّب عنه العلامة الإيطالي M. Piccirillo في مكان بالأردن في منطقة مادبا يُدعى (نتل)، وطلب مني أن أكتب الوصف التاريخي لهذا الأثر الغساني الجميل، ففعلت، ونُشر المقال في المجلة العلمية الأثرية Liber Annuus.

*** أستاذ جليل مثلك كتب كثيراً، ودرّس كثيرين عن العرب، وتاريخهم، وثقافتهم، ولغتهم، وحضارتهم في الغرب، أين وجد نفسه في بيئة علمية أجنبية غير صديقة؟**

- بوصفي عالماً في التاريخ والأدب العربي في الغرب البعيد أواجه مثل هذا السؤال الموجود في أذهان الأمريكيين والأوربيين، وهو: لماذا ندرس لغةً بعيدةً من لغاتنا كلّ البعد، وكذلك تاريخ شعبها وقومها؟!. كان جوابي عن هذا السؤال، وأنا أستاذ في جامعة غربية، أن أدلّل على اتصال اللغة العربية والحضارة والتاريخ العربيين وصلتها بالتاريخ والحضارة الغربيين. وقد كتبتُ مقالاً بعنوان: الثقافة الأمريكية ودور العربية American culture The Role Of Arabic، دلّلت فيه على أن اللغة والحضارة العربيين في أعلى مستوياتهما استفادا من التراث اليوناني في الفلسفة والعلوم وأفاداه وطوّراه، وأوصلا كثيراً منه إلى غرب أوربا عن طريق الأندلس العربية؛ مما أسهم في النهضة الأوربية في أواخر العصور الوسطى، وهو أمر يعترف به المنصفون من المؤرخين الغربيين، ولعل هذا المقال المشار إليه يجد طريقاً لترجمته إلى اللغة العربية.

لقد وجدت نفسي في صراع، ولما كانت خدمتي أستاذاً تتزامن مع تردّي العلاقات بين الغرب والعالم العربي، وكانت لهذا التردي أصداء في الحياة الأكاديمية، وجدتني أكتب عن هذا التاريخ والحضارة كما يستحقان، وفي الوقت ذاته أدافع عنهما ضد كثيرين لم يكونوا من أنصار هذه الحضارة، متأثرين بدوافع كثيرة ومختلفة، منها تردّي العلاقة السياسية. وهذا الأمر دعاني إلى كتابة مقالات تدحض الفهم الاستشراقي السائد عن العرب وتاريخهم أدلّل فيها على العداوة الحضارية التي يكنّها كثير من علماء الغرب للحضارة العربية والإسلامية، متأثرين بدوافع كثيرة لم يتجاوزوها بعد ما ورثوه من أقوال علماء الرومان واليونان في الماضي عن العرب قبل الإسلام.

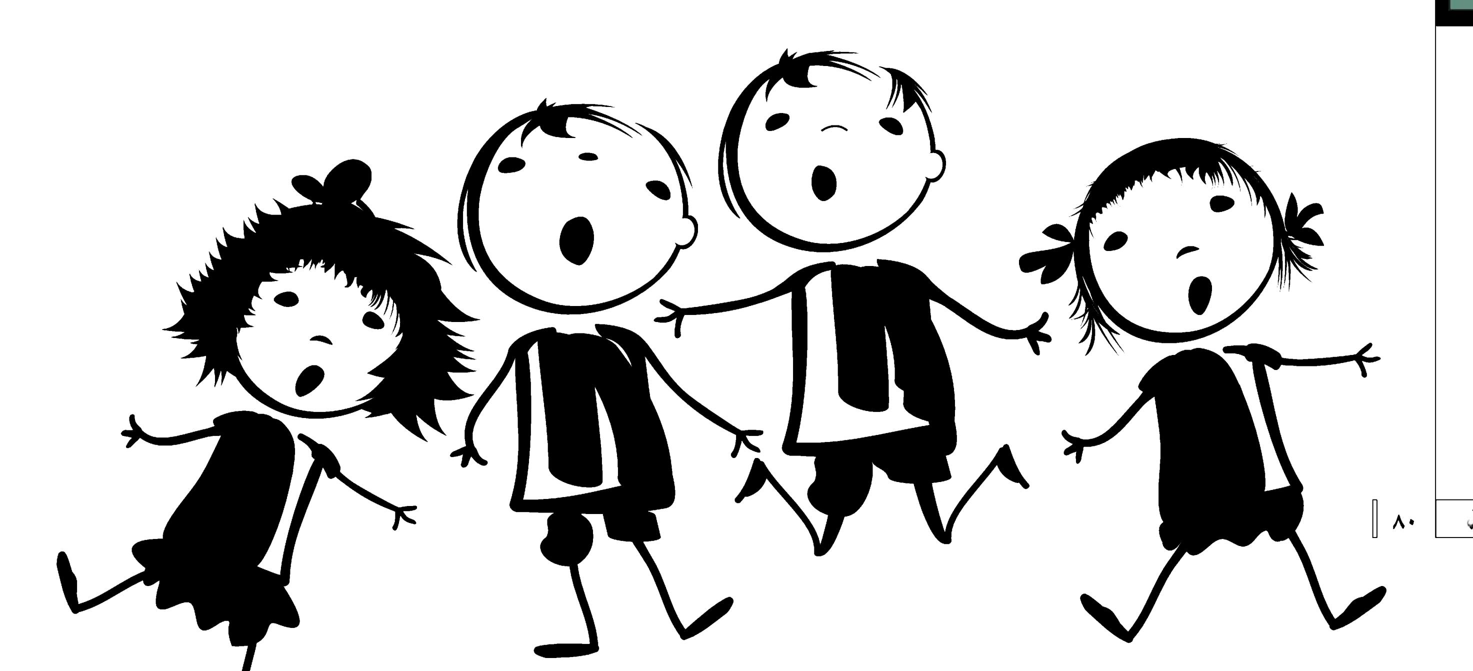
حرصاً على وقتك الثمين سأختم هذا اللقاء بسؤال عما تقوله للمهتمين والباحثين والمختصين بتاريخ الجزيرة العربية؟

- أشعر بالسعادة عندما أعلم ببعض الاهتمام بالموروث التاريخي للجزيرة العربية، ولعل ما أقوله لزملائي في المملكة وغيرها: إن الجزيرة العربية، وأكثرها تحت سيادة المملكة العربية السعودية، هي منجم كبير للبحوث الأثرية، واستكشاف ما تكتنزه هذه الأرض المعطاء العريقة يتطلب كثيراً من العلم والعمل والسعي إلى الحصول على المخطوطات القديمة في خارج الجزيرة العربية؛ فقد يكون هناك كثير منها عن تاريخها. وما اكتشافي مخطوطة شهداء نجران باللغة السريانية إلا مَثَل على ذلك، وكذلك اكتشافي وأنا فرد واحد آثار الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وفي هذا السياق، ينبغي أن يكون هناك تعاون مع الجميع في مختلف أنحاء العالم؛ لاسترجاع كلّ ما له علاقة بتاريخهم القديم. وكلي أمل أن تكون هناك حملة أثرية نشيطة مشابهة لحملة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في الفاو. ولما كنت قد أوليتُ نجران عنايةً فائقةً عندما نشرتُ كتابي عن شهدائها أرى أن هذا خير موضع لعلماء الآثار أن يهتموا به، خصوصاً أنه أثر عربي واضح يختلف عن كثير من الآثار في الجزيرة التي قد لا تنتمي إلى العرب وتاريخهم وحضارتهم، بل إلى شعوب سامية أخرى قريبة من العرب استوطنت الجزيرة التي هي مهد الشعوب السامية حسب أصحّ النظريات.

سعد عبد الرحمن البواردي
الرياض – السعودية

الوهم

يا صغيري أنت تحلم
أنت بالأعراس تحلم
أنت طفلٌ
أنت شيء بعدُ لما يتعلّم
سوف تنمو
سوف تكبر
فإذا الآمال في دنياك خطوٌ يتعثّر
وإذا الحلم جناح يتكسّر
وإذا العمر ضمير يتحسّر
وجراح تتألّم..
سوف تحلم
وإذا أنت ككلّ الناس
في الأعراس تُهزم..
في الأعمار تهرم..
تتمنى أنك الطفل
ولمّا تتقدم..
سوف تحلم
عندما تصحو على الواقع
تدري أن دنياك
سرابٌ..
وضبابٌ يتجهّم
يتساوى فيه من يملك حساً
يبصر الأشيا
ومن ليس يعلم



قصيدة



آفاق

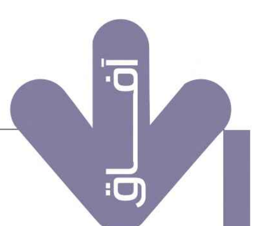
صيف السعودية.. ترفيه وثقافة

«السعودية.. عيشها تكتشفها».. بهذا الشعار استقبلت الهيئة العامة للسياحة والآثار صيف سنة ١٤٣٣هـ؛ بهدف تسويق مناطق المملكة كوجهات سياحية، وإبراز مقوماتها السياحية وتنوعها الذي يناسب مختلف شرائح المجتمع السعودي. فشهدت مختلف مناطق المملكة مهرجانات وفعاليات وبرامج متنوعة: ثقافية، وتراثية، وترفيهية، زينت صيف هذا العام.

مجلة (الفيصل) ترصد جانباً من هذه الفعاليات ذات الأبعاد الثقافية والترفيهية، التي تسهم في تنشيط السياحة الداخلية.

سيد الجعفري

هيئة التحرير



صيف الرياض.. مسابقات بحرية وأكلات عالمية

احتفت فعاليات صيف الرياض هذا العام، التي نظّمتها أمانة مدينة الرياض بتاريخ ١٧-٢٨ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٧-١٨ يوليو ٢٠١٢م في ٢٧ موقعاً غطّت جميع أحياء المدينة، بذوي الاحتياجات الخاصة من خلال مركز المروة الترفيهي لذوي الاحتياجات الخاصة، وتضمّنت فعالياتهم مسابقات في كرة الطائرة، وكرة الطاولة، ورمي السهام، والألعاب الإلكترونية (البلاي ستيشن)، إضافةً إلى باقة من الأنشطة الثقافية والترفيهية.

كما شهدت العاصمة الرياض مؤخراً انطلاق مهرجان الرياض للألعاب البحرية في البحيرة الصناعية بمتنزه سلام، الذي نظّمه الاتحاد السعودي للرياضات البحرية، بالتعاون بين الهيئة العامة للسياحة والآثار، والهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، والرئاسة العامة لرعاية الشباب؛ بهدف نشر الرياضات البحرية في مدينة الرياض، خصوصاً بعدما تأكد ملاءمة بحيرة متنزه سلام لتنظيم تلك المسابقات. وتعدّ مسابقات الألعاب البحرية فعالية جديدةً على جدول المهرجانات بالرياض، المعروفة بأنشطتها الثقافية والتراثية؛ فهي المرة الأولى التي تحتضن فيها الرياض مهرجاناً للألعاب البحرية التي تُقام دائماً على الساحل. وأسهم هذا المهرجان بمسابقاته المتعددة في كسر الروتين اليومي لسكان الرياض وزوّارها، وجذب كثيراً من الشباب والأسر السعودية. وتضمّن المهرجان عدداً من الفعاليات والمسابقات، منها: القوارب الشراعية، والجت سكي، والعروض البحرية، والدبابات البحرية، والتجديف، وصيد الأسماك، وسباحة الزعانف.

وشهدت محافظة الدرعية في السابع عشر من شعبان ١٤٣٣هـ/ ٧ يوليو ٢٠١٢م افتتاح أول مهرجان عالمي للثقافات والسفرة العالمية تحت شعار (تذوّق العالم في مكان واحد)، بمشاركة ٢٥ دولة عربية وأجنبية، نظّمته جمعية أسر التوحد للتعريف بهذا المرض الذي أصبح من الأمراض المنتشرة في العالم. وشمل المهرجان الذي استمر أسبوعاً عدداً من الأنشطة السياحية والثقافية التي تُقام أول مرة في منطقة الشرق الأوسط، منها: العروض التراثية والفلكلورية للدول المشاركة، ومهرجان المأكولات العالمية، ومعرض مصاحب لمعروضات وصور معبّرة عن الدول المشاركة يظهر الثقافة والحضارة والحرف التي تشتهر بها. وشارك في مهرجان المأكولات مجموعة من الطهاة المحليين والعالميين؛ لعرض المأكولات المشهورة العالمية والعربية، وتعريف الجمهور بهذه الأطباق، وطريقة طهوها، ومكوناتها. وشاركت المملكة العربية السعودية بأكبر جناح عرضت فيه تاريخ الدرعية المدينة التاريخية الكبرى، ومراحل التطور التي مرّت بها. والدول التي شاركت في المهرجان، إضافةً إلى المملكة، هي: مصر، والمغرب، والسودان، والأردن، وتونس، وسلطنة عمان، وليبيا، والجزائر، والكويت، والعراق، وإريتريا، والمجر، وبريطانيا، وفرنسا، وكوبا، وأمريكا، وإيطاليا، وباكستان، والصين، والكونغو، والفلبين، وإسبانيا، وكوبا، ومدغشقر، ونيجيريا.

من مهرجان الثقافات والسفرة العالمية



أرامكو تنشر الثقافة في ربوع المملكة



في إطار مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع أطلقت شركة أرامكو السعودية برنامجها الثقافي هذا العام في كلّ من الرياض وجدة والدمام بتاريخ ١-٢٨ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٢١ يونيو- ١٨ يوليو ٢٠١٢م، وضمّ فعاليات متنوعة اهتمت بالسلامة، والصحة، والفن، والتراث، والطاقة، والبيئة، إضافةً إلى قرية متكاملة للطفل، وجناح للمرأة، وآخر لسفاراتي كوريا والصين المشاركتين في البرنامج.

ففي الرياض، شهد جناح جزيرة الطفل إقبالاً كثيفاً لتعلّم كثير من مهارات الحياة؛ مثل: الرسم، وصنع البيتزا، وألعاب تطوير الذكاء، والعمل في عدد من الحرف. واستمتع الأطفال برحلة مثيرة وتجربة فريدة في حديقة السلامة المرورية مكّنتهم من استيعاب أصول قيادة المركبة وقواعد السلامة المرورية وتطبيقاتها في سنّ مبكرة في جوّ تعليمي ممزوج بالمرح. كما ضمّ جناح المرأة عدداً من الفعاليات والدورات المميزة؛ مثل: تغليف الهدايا، وفن الإتيكيت، وأنا وابنتي. وجمع (معرض ألف اختراع واختراع) بين الطابعين الترفيهي والتعليمي، وعزّز الوعي بإنجازات العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، وألقى الضوء على الاكتشافات التي تركت أثرها العميق في العالم الحديث.

وشهدت جدة إقبالاً كبيراً من الزوار على جناح التربية المشارك في برنامج أرامكو السعودية الثقافي، الذي ضمّ أكثر من ٨٠ فعالية بمشاركة أكثر من ٢٥ جهة حكومية وأمنية وخاصة؛ إذ ضم الجناح ١٢ ركناً تعليمياً وتدريبياً وترفيهياً موزّعة على أقسام الرجل والطفل والمرأة، وتنوّعت الورش التعليمية والأنشطة التدريبية والعملية والتثقيفية المبتكرة، منها أنشطة خاصة بالأطفال الموهوبين، وورش عمل في مجال التنمية البشرية والدورات التطويرية لمختلف الأعمار ركّزت في تطوير الذات، واكتساب مهارات حياتية جديدة، يتعلّم فيها الطفل كثيراً من مهارات الحياة. كما يتم فيها تقديم دورات متنوعة للكبار؛ مثل: القراءة السريعة، وإدارة الوقت، وفنّ الحوار، والمقابلة الشخصية، والخرائط الذهنية، والألعاب التعليمية، وفنّ كتابة السيرة الذاتية، وغيرها من دورات تطوير الذات.

وفي الدمام، لم تؤثّر الحرارة والرطوبة في الإقبال على أجنحة المهرجان الأحد عشر التي شملت برامج وفعاليات للكبار والأطفال حققت لهم المتعة والمعرفة، إضافةً إلى الاطلاع على تراث المنطقة الشرقية من خلال القرية التراثية التي تحكي ما كانت تعيشه المنطقة في الماضي، وما تعيشه اليوم من تطور كبير. كما تطلع الزوار إلى المستقبل من خلال (معرض السعودية ٢٠٥٠م)، الذي تم تصميمه بالشراكة مع معرض (مشكاة التفاعلي -إحدى مبادرات مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجددة- واستكشفوا فيه تأثير حفظ الطاقة والتطور التكنولوجي على طبيعة المستقبل الذي نعيشه.

«جدة غير ٣٣» يستقطب مليوني سائح



تضمّن مهرجان (جدة غير ٣٣)، الذي انطلق يوم ١٦ رجب ١٤٣٣هـ/ ٦ يونيو ٢٠١٢م، أكثر من ١٥٠ فعالية، تسابق على تقديمها ٧٠ مدينة ترفيهية، و٣٦٠ مركزاً ومجمعاً تجارياً، استقطبت مليوني سائح من داخل المملكة وخارجها، وفاقت قيمة جوائزه ثلاثة ملايين ريال وسط مشاركة أكثر من ٥٠ جهة حكومية وأهلية في هذه التظاهرة السياحية التي استمرت ٣٧ يوماً. ونجح مهرجان (جدة غير) منذ انطلاقته عام ١٩٩٨م كأول عرس سياحي وأعرق مهرجان من نوعه على مستوى الشرق الأوسط في أن يكون الواجهة السياحية للمملكة؛ ليجعل عروس البحر الأحمر معزّزةً للسياحة الداخلية، لتحجز مكانتها على خريطة السياحة محلياً وعالمياً في ظلّ تميّز محافظة جدة بوجود أماكن سياحية مختلفة، وتاريخها العريق، وتراثها الثقافي المتنوّع، ورصيدها من النشاط الإنساني في جميع المجالات التي تتطلب من السائح أن يتنقّل بين جنباتها، ويستمتع بما تزخر به من مقوّمات سياحية مختلفة. ومن الفعاليات والأنشطة التي اشتهر بها مهرجان (جدة غير)، واستطاعت أن تجذب جمهوراً كبيراً: السيرك العالمي، والمطعم الطائر الذي يرتفع ٥٥ متراً عن سطح الأرض، والنوافير الإبداعية الراقصة على غرار النافورة الراقصة في دبي، التي أقيمت بجانب نادي الفروسية وكلّفت مليوني ريال. كما تضمّن المهرجان ألعاباً نارية، وعرض الدلافين، و٦ بطولات رياضية (سداسيات وشاطئية)، شارك فيها أكثر من ١٥٠٠ شاب، وعرض الكوميديا الارتجالية في الصالة المغطاة، والألعاب البهلاونية شرق جدة، إضافةً إلى عروض الأطفال، و٤ أمسيات شعرية، و٣ أمسيات شبابية، وغيرها من الفعاليات المتنوعة.

وكان الأمير الشاعر خالد بن سعود قد دشّن الأمسيات الشعرية في الأسبوع الأول لمهرجان (جدة ٣٣)، وعطّر سماء العروس بعدد كبير من القصائد الوطنية والعاطفية. كما تفاعل الجمهور مع الأمسية الشعرية الكبيرة التي ضمّت الشاعر البحريني الشهير عبدالرحمن الرفيع، والشعراء: ضياء خوجة، وعبدالعزيز الفراج، والدكتور علي الغامدي، ووسيم باسعد. كما استمتع الجمهور بالشعراء: سليمان المانع، وفيصل اليامي، وعبدالله عبيان، في الأمسية الشعرية الختامية للمهرجان.

ويستهدف مهرجان (جدة غير) قاطني مدينة جدة وزوّارها من خلال تقديم باقة من البرامج السياحية، وخلق فرص للمستثمرين بقطاع السياحة بدعم من الجهات الحكومية ذات العلاقة والغرفة التجارية. ويهدف إلى أن تكون جدة الأكثر تميّزاً على ساحل البحر الأحمر، وأن تكون المقصد الأول في المملكة، ونموذجاً لسياحة مستديمة ذات طابع أصيل وجذاب خلال الأعوام المقبلة.





عروض فلكلورية ومسرحية في أبها



انطلق يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٥ يونيو ٢٠١٢م مهرجان أبها للتسوق الرابع عشر (مهرجان أبها يجمعنا) بمركز أبها الدولي للمعارض، وقدم خدمات تسويقية وترفيهية للزوّار من داخل منطقة عسير وخارجها شارك فيها عدد من الشركات والمصانع الوطنية المختصة التي قدمت أحدث المنتجات والسلع المختلفة بأسعار في متناول الجميع، إضافةً إلى مشاركة معارض متخصّصة من بعض الدول، منها: اليمن، ومصر، وسورية، والكويت، وتركيا، وباكستان، والصين، لعرض المنتجات التراثية والحديثة لبلدانها.

وتحظى منطقة عسير بمعطيات طبيعية وتراثية رسّخت موقعها على خريطة المناطق السياحية في الوطن العربي، وأصبح مهرجانها ملتقى اقتصادياً مهماً يجلب كبرى الشركات والمصانع الوطنية، حتى أصبح لها اليوم فروعاً ثابتة في المنطقة، إلى جانب اللقاءات التي تتم بين تجار المنطقة والتجار المشاركين من خارجها في كل صيف؛ مما أدى إلى قيام تحالفات تجارية كبرى. وقدم المهرجان أكثر من ثلاثة آلاف فعالية، وشهد إطلاق موقع إلكتروني لتلقي الاقتراحات والانتقادات الهادفة والبنّاءة التي تصبّ في سبيل تطوير الخدمات السياحية بالمنطقة نحو العالمية. وتعاقدت إدارة المهرجان هذا العام مع شركة متخصّصة في تنظيم المهرجانات السياحية؛ بغية توحيد الجهود، واستقطاب الشركات ذات الخبرة الواسعة في هذا المجال. وضمّ المهرجان مدناً ترفيهية اشتملت على ألعاب حديثة للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، إلى جانب أماكن مخصّصة لألعاب الترفيه المسلية للأطفال، والسيرك المتنوّع العروض، في محاولة لإرضاء جميع الشرائح الزائرة للمهرجان من خلال تنويع الفعاليات بين الثقافية والفنية والمسرحية والتعليمية والتربوية والترفيهية. وتجاوز المهرجان حدود التسوق، فاشتمل على عروض مسرحية، وعروض فرق الفنون الشعبية المختلفة من أنحاء المملكة، والمهارات الرياضية، والبرامج والمسابقات الترفيهية. وقدم المهرجان السياحة العلاجية من خلال الكشف المجاني على الزوار وصرف الأدوية لهم عن طريق عيادة طبية لواحد من أكبر مستشفيات المنطقة.

وضمّ حفل افتتاح المهرجان أوبريتاً وطنياً بعنوان: (جبل وبطل)، للشاعر عبدالله الشريف، بمشاركة عدد من الفرق الشعبية. واستمر المهرجان ثلاثين يوماً، نظّم خلالها ١٨ مهرجاناً متنوعاً لبّت رغبات زوّار منطقة عسير. واستهدف المهرجان خمسة مواقع، هي: متنزه السودة الوطني، وساحة المفتاحة، وقرية المفتاحة، والممشى، وساحة البلدية (المشهد). ومن أبرز الفعاليات التي شهدها المهرجان: عروض الصوت والضوء في بحيرة السد، وعروض الأطفال في ساحة المفتاحة، وعروض عالم ديزني، وسباق السلاحف، إضافةً إلى مسرحيات عروض الجمباز، وعروض القوة، وإبداعات بعض الفرق الإنشادية، وفعاليات المهرّجين، وورش رسم، ومعارض صور، ودورات تدريبية فنية وكاريكاتيرية لأشهر الفنانين، ومزاد للمقتنيات الأثرية. وشهد متنزه السودة السياحي عروض البهلوان، ومسرحيات، ومسابقات، وعروض الجمباز، وعروض الألعاب المائية، ومسابقات إنشادية، وعروض ألعاب الخفة، وعروض الأكروبات، وعروض الكارتينج للشباب.



الطـــائف عسل وورد

نظّمت الهيئة العامة للسياحة والآثار مهرجان العسل الثالث ضمن مهرجان صيف الطائف ٣٣ تحت شعار (الطائف عسل)، وتجاوز عدد العارضين فيه ٣٠ عارضاً. وصاحبت المهرجان مجموعة من الفعاليات اشتملت على مسابقات ثقافية، وعروض عن النحّال وهو يقوم بعملية البناء بالشمع في الخلايا الزجاجية، إضافةً إلى المطبوعات والمطويات والعروض المرئية التي توضح أنواع العسل وفوائده العلاجية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية. كما اشتمل المهرجان على عرض لمنتجات الأسر اليدوية المختلفة من ملابس ومفروشات وحافظات للمأكولات، وكذلك المأكولات الشعبية التي يشتهر بها عدد من مناطق المملكة. كما أضاءت الألعاب النارية سماء الطائف بالألوان في حفل افتتاح مهرجان الورد الطائفي الدولي الثامن ٢٠١٢م بحديقة الملك فيصل النموذجية بالقديرة في هذا الاحتفال السنوي الذي تواكب فعالياته بدء موسم قطاف الورد الطائفي الشهير. وشملت العروض أكبر سجادة للورود والأزهار قامت بتصميمها وعملها أمانة الطائف، إضافةً إلى مشاركة واسعة من عدد من الجهات الحكومية والقطاع الخاصّ من خلال أكثر من ١٠٠ عارض ومنتج.



مهرجان حائل يحتفي بالتراث



استفادت اللجنة المنظمة لمهرجان حائل السياحي من المقتنيات التراثية التي تزخر بها المنطقة ضمن فعاليات المهرجان، ومنها الهوادج المعروضة في أحد محلات الحرف اليدوية في السوق الشعبي بمتنزه المغواة، التي كانت تستخدم في زفة العروس لحمايتها من الحر والبرد. وكان مهرجان حائل السياحي قد انطلق يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٥ يونيو ٢٠١٢م تحت شعار (صيفنا يليق بضيفنا)، وشمل فعاليات تراثية وفنية وثقافية وترفيهية. وضمّ السوق الشعبي التراث الحائلي القديم، والملابس التراثية القديمة، وفنون الحياكة والتطريز. ووفّر مهرجان هذا العام أكثر من ٥٠٠ فرصة وظيفية للرجال والنساء والشباب طوال أيام الفعاليات التي استمرت شهراً كاملاً جعلت المهرجان واحداً من الروافد التنموية والاقتصادية والاجتماعية الموسمية لمنطقة حائل. وحظي المهرجان بفعاليات وأنشطة مختلفة لبّت رغبات كلّ شرائح المجتمع، وتضمّنت فعاليات ترويحية وترفيهية وثقافية واجتماعية ورياضية وتسويقية، وتنوّعت الفعاليات بين السوق الشعبي والسوق التجاري، وفعاليات متنوّعة للأطفال.



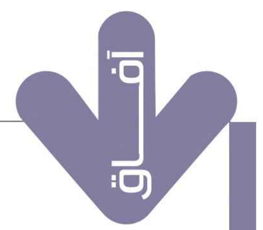
الشرقية تزين صيفها بـعشرين مهرجاناً



حفل صيف المنطقة الشرقية هذا العام بعدد كبير من المهرجانات والفعاليات السياحية المتنوعة التي أقيمت بالشراكة الفاعلة مع مختلف الجهات الحكومية والخاصة لتلبية طموحات أهالي المنطقة وزوّارها. أبرز هذه المهرجانات: مهرجان صيف الأمانة الذي نظّمته أمانة المنطقة الشرقية بتضافر جهود كلّ الجهات الحكومية والقطاع الخاص، ومهرجان أرامكو السعودية الثقافي في الظهران، ومهرجان صيف مركز الأمير سلطان بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية (سايتك)، الذي احتوى على برامج تعليمية للأطفال وفعاليات داخلية ومعارض توعوية لزوّار المركز، ومهرجان الهيئة الملكية للجبيل بفعالياته الجاذبة، وغيرها من المهرجانات والفعاليات التي شكّلت علامةً بارزةً في مهرجان صيف الشرقية هذا العام؛ لتنوّع فعالياتها بين الثقافية والترفيهية والتراثية. وشهد هذا الصيف مشاركةً كبيرةً من القطاع الخاصّ، ممثّلاً في مقدمي الخدمات السياحية في المنطقة، ومن أبرز تلك الفعاليات: فعاليات المراكز والمجمعات التجارية، وفعاليات المراكز والمدن الترفيهية، وفعاليات المنتجعات، والفعاليات والبرامج المتخصّصة؛ كمهرجان أشهى المأكولات، ومهرجان أكبر كيكة نجاح، إضافةً إلى برنامج فعاليات أجيال المعرفة في جزيرة المرجان بالدمام.

وانطلق مهرجان صيف الشرقية ٣٣ تحت شعار (فكّر في السعودية.. والوجهة شرقية) في الواجهة البحرية بالدمام على مساحة تجاوزت ١٠٠ ألف متر مربع، وشهد المهرجان إقامة أكثر من ٥٠ فعالية في اليوم الواحد، تضمّنت: مسرحيات، وفعاليات أطفال، ومسابقات متعددة، وبرامج ثقافية، وفلكلوراً شعبياً، ومحاضرات اجتماعية، وأمسيات شعرية، وعرضاً لتراث المنطقة الشرقية وتاريخها، وعرضاً للأسر المنتجة، واللجنة الوطنية لرعاية السجناء والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة، وبعض الجمعيات الخيرية الأخرى، إضافةً إلى الألعاب النارية المميزة، ومسابقات كرة القدم الشاطئية، وحلبة خاصة لعروض سيارات السباق والدراجات النارية، ودورات تدريبية للشباب معتمدة من وزارة التربية والتعليم، والمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني.

وشهد ملتقى القافلة النسائي الحادي عشر، الذي أقيم بصالة معارض الظهران الدولية بالمنطقة الشرقية إقبالاً كبيراً من المغتربات المشاركات فيه على اعتناق الدين الإسلامي؛ فقد شهد ركن (نور على نور) المخصّص للناطقات بغير اللغة العربية –للمرة الأولى في تاريخ الملتقى– إعلان عدد من الأجنبيات العاملات في المملكة من إثيوبيا والفلبين وسريلانكا إسلامهنّ. ويستقطب برنامج (نور على نور) داعيات بلغات مختلفة، منها: الإنجليزية، والإندونيسية، والأوردية، والفلبينية، والسريلانكية، يتم إعطاؤهن دروساً في العقيدة والعبادة، كما يدخلن في منافسات لحفظ سور من القرآن الكريم. وأدرج البرنامج ضمن أنشطته هذا العام للمرة الأولى منذ انطلاق الملتقى اللغة الأمهرية المنتشرة في إثيوبيا.



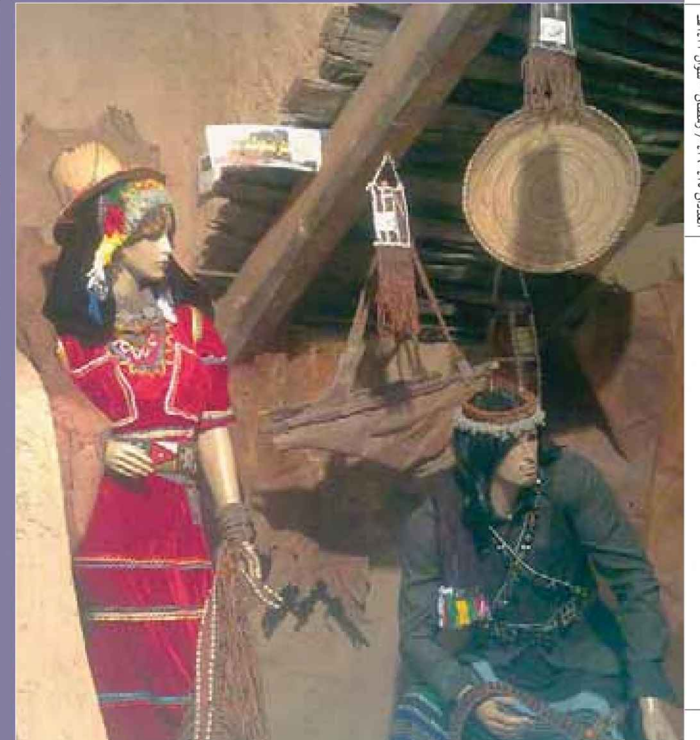
القرية التراثية بجازان.. للتميز عنوان

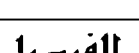
حصلت قرية جازان التراثية بمنطقة جازان على جائزة التميّز السياحي في دورتها الثانية كأفضل مكان جذب سياحي في المملكة من بين أكثر من ٦٠٠ مرشّح للجائزة.

وتعدّ القرية بوابةً سياحيةً للتعريف بجازان الإنسان والمكان والزمان، ومعلماً حضارياً يحاكي ماضي المنطقة؛ فهي ترصد جهود إنسان المنطقة القديم الذي طوّع موارد بيئته الطبيعية وحوّلها إلى بيوت وأوانٍ وأثاث؛ لتصبح حضارةً ماثلةً يتباهى بها إنسان الحاضر بتنوعها الثقافي والحضاري. ونبعت فكرة القرية التراثية من خلال إطلاق مهرجان جازان الشتوي الأول سنة ١٤٢٩هـ، الذي قدّم تراث المنطقة وآثارها التقليدية، وحقّق نجاحاً كبيراً أدى إلى إنشاء مقرّ دائم للقرية التراثية بجازان في موقع متميّز بالكورنيش الجنوبي من المدينة.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز -رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار- قد سلّم جوائز التميّز السياحي في دورتها الثانية لـ٣٥ فائزاً وجهةً على هامش ملتقى السفر والاستثمار السياحي السعودي الذي أقيم مؤخراً بالرياض. وتعدّ هذه الجوائز من المبادرات المهمة للهيئة العامة للسياحة والآثار، وتهدف إلى تطوير صناعة السياحة والضيافة في المملكة.







جمال ووناسة في صيف تبوك

شهد صيف منطقة تبوك تنظيم خمسة مهرجانات سياحية في محافظات المنطقة ومراكزها بسبب زيادة الطلب على الخدمات السياحية، بدأت بمهرجان الغوص في مركز مقنا بتاريخ ١٢-١٦ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٢-٦ يوليو ٢٠١٢م، وهو المهرجان الأول لفعاليات الغوص على شواطئ مقنا. وافتتح مهرجان (أملج أجمل) بمحافظة أملج يوم الأربعاء ٢٣ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٣ يونيو ٢٠١٢م، واستمر أسبوعين، وهو مهرجان سياحي يوظّف المقومات السياحية الطبيعية والتراثية المميزة في أملج لتوفير تجربة سياحية ثرية وممتعة يوصل من خلالها رسائل إعلامية لرسم صورة ذهنية جيدة عن أملج كوجهة سياحية بما يسهم في استفادة القطاع السياحي والمجتمع المحلي في المحافظة. وشهدت محافظة الوجه تنظيم مهرجان (الوجه وجهتنا) بتاريخ ١٨ رجب- ٢٨ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٨ يونيو- ١٨ يوليو ٢٠١٢م، وهو مهرجان صيفي يقدّم مجموعةً متنوعةً من الأنشطة الرياضية البحرية والتراثية والترفيهية. وعلى شواطئ محافظة ضباء انطلق مهرجان (ضباء دارك والبحر جارك)، الذي قدم عدداً من الأنشطة التي تتميّز بها ضباء. وقدمت محافظة حقل مهرجانها السنوي للمرة السادسة على التوالي (حقلنا وناسة) بتاريخ ١٠-١٩ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٣٠ يونيو- ٩ يوليو ٢٠١٢م.





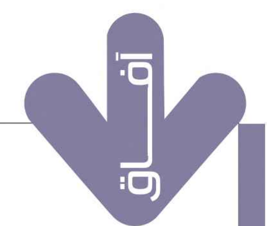
الجـوف حلـوة



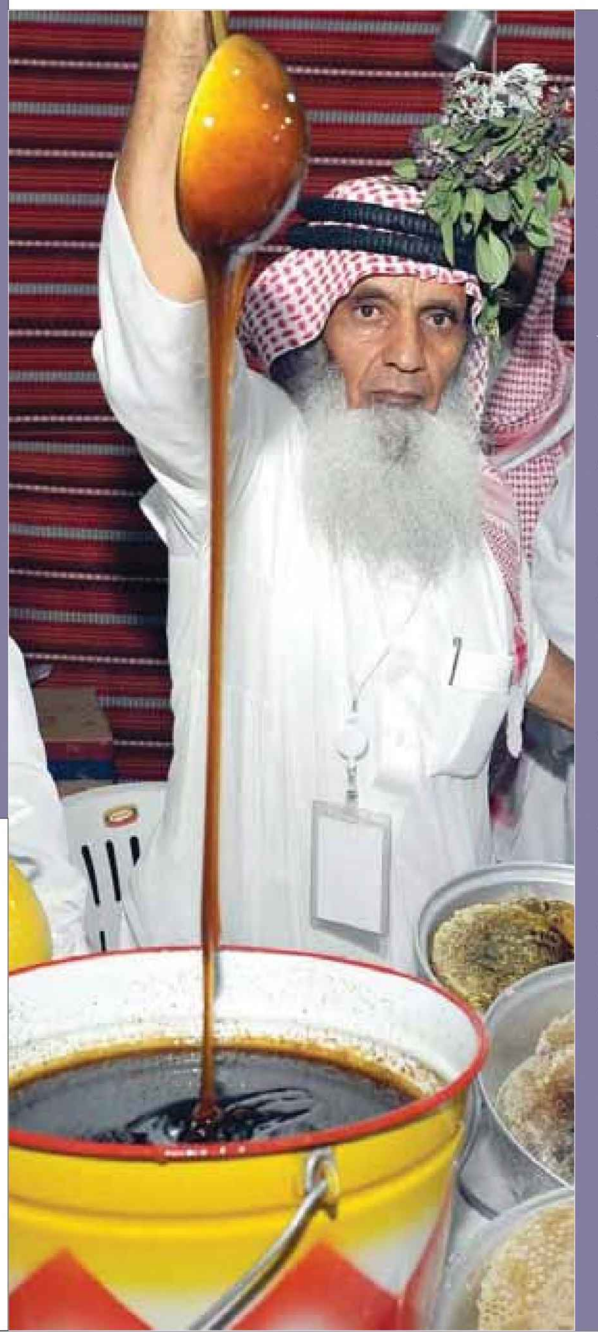
أقيم مهرجان (الجوف حلوة) لصيف سنة ١٤٣٣هـ بتاريخ ١٥-٢٨ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٥-١٨ يوليو ٢٠١٢م بإشراف ودعم من الهيئة العامة للسياحة والآثار. واستقطب هذا المهرجان أهالي الجوف، ووفّرت لهم فعالياته فرصة رائعة للتنزه والاستمتاع بالإجازة الصيفية. وشهد مهرجان هذا العام وجهاً مختلفاً وفعاليات أقيمت للمرة الأولى في الجوف حققت جذباً سياحياً للمنطقة من جميع أطياف المجتمع من العوائل والشباب وكبار السن والفتيات.

وأقامت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في منطقة الجوف معرضاً للتصوير الضوئي، ضمن المعارض المصاحبة لمهرجان الناصفة الصيفي، واحتوى المعرض على أكثر من ٣٠ صورة من مختلف أنواع التصوير؛ كالبورتريه، والتصوير التجاري، وتصوير الرمال والطبيعة والغروب. وشهد المعرض إقبالاً كبيراً من الزوار الذين أبدوا إعجابهم بروعة الصور الملتقطة من أعضاء الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالجوف.





عسل وكادي في الباحة



أطلقت منطقة الباحة مؤخراً أنشطة مهرجان العرضة الجنوبية الأول على مستوى المملكة بمقرّ الساحة الشعبية في محافظة القرى، الذي يأتي ضمن فعاليات صيف مهرجان الباحة لسنة ١٤٣٣هـ. واستمر المهرجان الذي نظّمته جمعية الثقافة والفنون بمنطقة الباحة ثلاثة أيام، وشارك فيه ١٤ شاعراً من نجوم الشعر في المنطقة الجنوبية، إضافةً إلى نحو ٦٠ عضواً من فرق الجنوب.

وكان مهرجان صيف الباحة ١٤٣٣هـ، الذي انطلق في مدينة الباحة ومحافظات القرى والمندق وبلجرشي يوم ٢٠ رجب ١٤٣٣هـ/ ١٠ يونيو ٢٠١٢م، واستمر حتى نهاية شهر شعبان ١٤٣٣هـ، تحت شعار (باحة الكادي مصيف بلادي)، قد تضمّن ١٠٠ فعالية رئيسة انبثق عنها أكثر من ألف برنامج ونشاط متنوع واكبت ما تتمتع به الباحة من أجواء خلابة وممطرة خلال الصيف، إضافةً إلى ما تتميز به المنطقة من توافر غطاء نباتي فريد من نوعه مع وجود كثير من الغابات والمتنزهات والمطلات والأودية الساحرة بكثافة أشجارها، وعذوبة بيئتها، وأجوائها العليلة. كما استضافت الباحة بتاريخ ١٢-١٦ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٢-٦ يوليو ٢٠١٢م مهرجان العسل الدولي الخامس، الذي نظّمته جمعية النحالين التعاونية بالمنطقة بالتعاون مع كرسي المهندس عبدالله بقشان بجامعة الملك سعود وجامعة الباحة، ودعم من الهيئة العامة للسياحة والآثار. وشارك في المهرجان والفعاليات العلمية المصاحبة له نخبة من العلماء والمتخصّصين من داخل المملكة وخارجها. وضمّ المهرجان ٥٠ عارضاً من تركيا، وسورية، والأردن، واليمن، ومصر، وعمان، وقطر، والسودان، وإثيوبيا، إضافةً إلى المملكة، تمّ اختيارهم من بين ١١٠ عارضين كانوا يرغبون في المشاركة في المهرجان، وكان ضيف شرف المهرجان هو اتحاد النحالين الأتراك.

أوبريت «سماء الغيم» يزين ليالي نجران



اختتم مهرجان صيف نجران ٣٣، الذي نظّمته أمانة منطقة نجران على مسرح الأمانة المفتوح بغابة سقام، فعالياته يوم ٢٧ شعبان ١٤٣٣هـ/ ١٧ يوليو ٢٠١٢م بأوبريت غنائي من التراث النجراني بعنوان: (سماء الغيم)، من كلمات الشاعر مهدي بن سميطان، وألحان وأداء الفنان صالح خيري. واشتمل الأوبريت على خمس لوحات فنية شارك في تقديمها أكثر من ١٠٠ مشارك من أعضاء الفرق الشعبية بجمعية الثقافة والفنون بالمنطقة، وشارك في أداء إحدى هذه اللوحات الفنان مصطفى العبدالله، إضافةً إلى لوحة خاصة بالأطفال قدّمها براعم أطفال نجران الذين تزيّن بهم المسرح المفتوح بمتنزه الملك فهد.

وشهدت فعاليات المهرجان حضوراً جماهيرياً كبيراً بلغ أكثر من ٢٢٠ ألف زائر؛ بسبب تنوّعها واستهدافها كل شرائح المجتمع؛ مما جعلها تحقق نجاحاً مميزاً. وحظيت الأمسيات الشعرية بنصيب كبير من ليالي المهرجان، شارك فيها الشعراء: محمد بن مرييد، وحمد آل سالم، وهادي وخالد المري، وسالم جخير، وعبدالعزيز الشرمان، وعبيان آل سالم، ومانع بن عشيمة.



سياحة حضارية في المدينة المنورة

شهدت المدينة المنورة مع نهاية شهر رجب الماضي انطلاق مهرجان صيف ١٤٣٣هـ (خيراً لهم)، الذي يستمر حتى ١٢ شوال ١٤٣٣هـ/ ٣٠ أغسطس ٢٠١٢م، ويتضمن عدداً من الفعاليات الثقافية والفنية والتراثية المتنوعة. ويستوعب المهرجان سجلاً متكاملاً لحضارة المنطقة، ودورها في رسم معالم المعرفة الإدارية والعلمية والقيادية في العالمين العربي والإسلامي، فضلاً عن الاهتمام بالجانب السياحي، والسعي إلى ترسيخه في ذاكرة الزائرين للمنطقة، ولفت الأنظار إلى ما تتمتع به من إمكانيات ومزايا سياحية؛ مثل: مدائن صالح بمحافظة العلا، والشواطئ الجميلة في محافظة ينبع، والمناطق الجبلية في الفقرة التي تتّسم باعتدال جوّها صيفاً، وكثير من المعالم الأثرية ذات الصلة بالتاريخ والهجرة النبوية الشريفة.

ويزاوج المهرجان بين الترفيه والتثقيف والترويح عبر الأنشطة المتنوعة التي صُمِّمت بخبرة وعناية كبيرة شملت المحاضرات والندوات والمسابقات والعروض والتسويق والتنزّه.

ثقافة ورياضة في بريدة وعنيزة



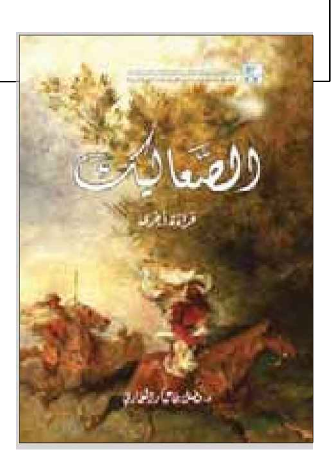
أقام نادي القصيم الأدبي مساء الخميس ١٧ رجب ١٤٣٣هـ/ ٧ يونيو ٢٠١٢م أمسيةً شعريةً نسائيةً على مسرح مركز الملك خالد الحضاري ببريدة جمعت ثلاث شاعرات، هنّ: منى العرفج، وسماح الوهيبي، وانتصار اليحيى، وأدارتها منال المحيميد، ضمن أنشطة جماعة إبداع النسائية التي شارك بها النادي في مهرجان (بريدة وناسة ٣٣) الذي امتد شهراً كاملاً بدءاً من ١٦ رجب ١٤٣٣هـ/ ٦ يونيو ٢٠١٢م، وشمل عدداً من الفعاليات الثقافية والشعبية والرياضية والاستعراضية والعروض المسرحية والإنشادية. واختتمت فعاليات المهرجان ببطولة سباق بريدة الدولي الخامس (دراق رايس) للسيارات والدراجات النارية المعدلة الذي استمر ثلاثة أيام، وأقيم على مضمار نادي الفروسية بمدينة بريدة بمشاركة محلية وخليجية. وتميّز المهرجان بفعالية (مقهى الحوار) التي تعدّ الأولى على مستوى مهرجانات المملكة، وشهدت حواراً بنّاءً بين الشباب والمسؤولين في المنطقة. كما استمر صيف عنيزة في تألّقه بعد أن تصدّر مهرجانات المملكة العام الماضي حسب الدراسات الإحصائية التي أجراها مركز المعلومات والأبحاث السياحية (ماس) التابع للهيئة العامة للسياحة والآثار؛ فشهدت (ليلة السياحة) بمهرجان هذا العام، التي أقيمت يوم ١٩ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٩ يوليو ٢٠١٢م على مسرح الشباب بمتنزهات الحاجب السياحية، عروضاً مرئية وأوبريتاً مخصّصاً لهذه المناسبة، إضافةً إلى وضع حجر الأساس لعدد من المشروعات، منها: مسرح حجوب للمرأة والطفل، ونادي الشباب الرياضي الذي يعدّ الأول من نوعه على مستوى المملكة.

حضور الشعر في طريف

انطلق مهرجان طريف السياحي الأول لصيف ١٤٣٣هـ يوم السبت ١٠ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، وشهد مجموعةً متنوعةً من الفعاليات، شملت محاضرات دينية، وأمسيات شعرية، وغيرهما من الفعاليات. وشهد المهرجان وجود عدد من الشعراء المشهورين، شاركهم نخبة من شعراء المحافظة بأمسيات أقيمت على مدار أيام المهرجان. ومن أبرز الأسماء الشعرية التي شاركت في أمسيات المهرجان: سليمان المانع، ومطلق النومسي، ومانع بن شلحاط، وخلف المشعان، وخالد جازم الرويلي، وبسام محمد، ومرعي ونيس الرويلي، وفرحان الصخني، وسهو فهاد الحازمي، وماجد ونيس الرويلي.



الصعاليك.. قراءة أخرى



تعدّ ظاهرة الصعلكة من الظواهر التي كثر الحديث عنها في الأدب العربي الحديث؛ فهي جزء أصيل من دراسة الأدب العربي القديم خاصةً، والحياة العربية قبل الإسلام عامةً.

ومن أحدث الدراسات المعاصرة التي بحثت موضوع الصعلكة كتاب (الصعلكة.. قراءة أخرى)، للدكتور فضل بن عمّار العمّاري، الذي صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ويقع في ٣٩٩ صفحة من الحجم المتوسط.

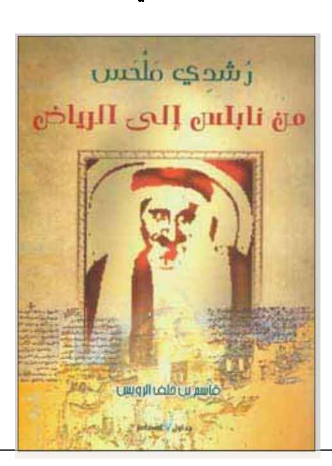
ركّز المؤلف في كتابه هذا في الدوافع الأساسية وراء ظاهرة الصعلكة، مع الاهتمام بناحيتين رئيستين، هما: الناحية الاقتصادية، والناحية العرقية. يقع الكتاب في أربعة أبواب، يبحث الباب الأول منها في الأطر الفكرية للصعلكة، ويشتمل على سبعة فصول، هي: المفهوم العام للصعلكة، والوصف التفصيلي لحالة الصعاليك، والصعاليك الشجعان، ومفهوم الخلع، ونموذج الخليع المطرود، ومشهد الذئاب في لامية تأبط شراً، ومشهد الذئاب في لامية الشنفرى. ويشتمل الباب الثاني، الذي جاء تحت عنوان: (الصعلكة: الواقع والممارسة)، على سبعة أبواب أيضاً، هي: الصعلكة شرف وانتماء، والصعاليك رؤساء وسادة، والغزو خارج حدود القبيلة، والغزو ظاهرة مشتركة بين الصعاليك وسواهم، والغزو القبلي مظهر من مظاهر الصعلكة، وقصائد نموذجية، والنظرة الأُحادية للصعاليك في الجاهلية. ويبحث الباب الثالث في مسألة الانتماء والموطن عند الصعاليك، وفيه خمسة فصول، هي: انتماء الشنفرى، والانتقال واللجوء، والرحلة والظعائن، والتقليد والاتباع في شعر الصعاليك، ونطاق التطواف (الصعلكة). وختم الباب الرابع بدراسة القراءات المعاصرة للصعلكة من خلال فصلين، هما: التوجيه العام، والتوجيه الخاصّ لهذه الظاهرة.

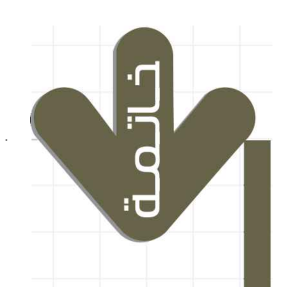
رشدي ملحس من نابلس إلى الرياض

صدر هذا الكتاب عن دار جداول للنشر والتوزيع في بيروت، وهو من تأليف: قاسم بن خلف الرويس. ويسلّط الكتاب الضوء على سيرة رشدي مَلْحَس أحد أبرز رجالات الثقافة والسياسة العربية طوال نصف قرن في أكثر من بلد: تركيا، ثم الشام، وأخيراً السعودية.

ويتتبع الباحث مسيرة ملحس وأنشطته السياسية والثقافية منذ مولده في نابلس إلى استقراره في بلاط الملك عبدالعزيز آل سعود مستشاراً ورئيساً للشعبة السياسية، مروراً بعمله أمين سرّ لجمعية العهد العربي في إستانبول، ثم إصداره صحيفة (الاستقلال العربي) في دمشق، وتوجّهه إلى الحجاز والاستقرار في السعودية، وتولّيه رئاسة صحيفة (أم القرى). ويُعدّ رشدي ملحس أحد أبرز المثقفين العرب؛ إذ حقق ريادةً في نشر عدد من المخطوطات، وتحقيق دراسات تاريخية وجغرافية وأدبية لم يهملها مؤلف الكتاب الذي نبش صحيفة أم القرى وغيرها، وأخرج منها ما نشره ملحس، وضمّنها كتابه.

جاء الكتاب في ٤٨٨ صفحة من القطع الكبير، ويشتمل على سبعة فصول. والكتاب مرفق بالملحقات، ومزوّد بالفهارس الفنية للأعلام والقبائل والأماكن. تناول الكتاب في الفصل الأول سوانح تاريخية، وفي الثاني نوادر المخطوطات، وفي الثالث مؤرّخي الحجاز ونجد، وفي الرابع أوضاع الحكومة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتناول في الفصلين الخامس والسادس معجم منازل الوحي، ومنازل المعلّقات، أما في السابع فتناول متفرقات المباحث التاريخية والجغرافية.





الرابية التي عمرها الأندلسيون المهاجرون

فاضل السباعي
دمشق - سورية

ما كنتُ لأظنّ أن ما يعرفه مضيّفي الدكتور أحمد الطاهري عن هذا المَعْلَم الأثري في مدينته كان محدوداً، وهو إذ فضّل أن نجوس دروب الحي المتشعّبة برفقة مرشد سياحي من معارفه فكأنه أراد لي أن أستزيد من المعلومات؛ لأجعلها فصلاً في (أدب الرحلات)، هذا الأدب الذي يعرف مدى عنايتي به!.

وهكذا لما دخلنا (المدينة/ الرابية) من أحد أبوابها السبعة، في مثل هذا الشهر (إبريل) من العام الماضي ٢٠٠٩م، سمعت المرشد المتقدّم في السنّ، المكتنز معرفةً، يقول: إن هذا الباب يُسمى (باب العُقلة). ولم أسأله من أين جاءت التسمية؛ فإنني لو فعلتُ لتكاثرت الأسئلة، وتلاحقت الأجوبة، فأصبح عندي من التفاصيل ما يزيد على الحاجة.

«غرناطة» أخرى فوق رابية في «تطوان»

عندما أخذ الأندلسيون من أبناء غرناطة مغادرة بلدهم قُبيل سقوطها وبعده، ونزلت طائفة منهم في مدينة صغيرة شمال المغرب تسمى اليوم (تطوان)، استرعى انتباههم أن بجوارها جبلاً، أو مرتفعاً من الأرض، لنسمّه (رابيةً)، تجري فيه أو فيها عيون الماء، فاختاروا أن يبنوا فوق الرابية بيوتاً لهم على غرار البيوت التي تركوها في غرناطة، وأسواقاً وجوامع وحمامات وكلّ مرافق الحياة.

مدخل للبيت تجتازه أشبه بدهليز، ينتهي بانعطافة نحو الداخل حيث الأبهاء، والحجرات، والجدران المزخرفة، والسقوف المقنطرة، و... إطلالة على حديقة للبيت داخلية، فيها الشجر والثمر والزهر.

بيوت بنوها، أندلسية الطراز، تصل إليها عبر دروب متعرّجة، وأزقة ضيقة، تظلّ تصعد غير لاهث؛ لأنك تتوقف عند هذا المعلم أو ذاك؛ تتأمل، وتعاين، وتتذكر، وتأسى.

قصر جنة العريف

في الوقوف أمام هذه الأبواب لا يخطر على بال الرائي أن وراء كل باب بيتاً هو أشبه بقصور مصغرة، يعلو قنطرة كلّ باب شعار كانت تتّخذه الأسر الآتية من الأندلس ما زال ماثلاً منقوشاً في الحجر أو قُدَّ من معدن لم تَنَلْ منه الأيام. ومررنا بزقاق يسمى (زقاق السبع لوايا)، والكلمة من الفعل (لوى، يلوي)، والمعنى: السبعة منعطفات أو ثنيات. وأشار المرشد السياحي محمد العربي حايك -ويلفظونها: أحايك، بتقديم همزة في الكلمة- إلى باب عريق بدا أنه طال إغلاقه، تعلوه لافتة تقول: «قصر جنان العريف Ksar Jenan Al- Arif»، ويسكّنون أول الكلمة: قصر). وعرفنا أنه كان قد اتّخذ منه (موتيل)؛ مما يطيب للسياح الأجانب الإقامة به أياماً، لكنه مغلق اليوم؛ لأن صاحبه تقدمت به السنّ، أو لأنه تأخّر هو عن التحديث ومسايرة العصر.

حجرة تنطق وتصرخ

وقفتُ في عتبة مسجد ذي صومعة، ينطق كلّ حجر فيه بروح الفن الأندلسي الباذخ، أو يصرخ منداً بذلك النزوح، الذي أُرغم عليه قوم لما كانوا فعلوه: أنهم أقاموا حضارةً سامقةً شارك في بنائها الفاتحون وأبناء البلاد المفتوحة يداً بيد، حضارة اعتمدت قيماً، ونشرت عدلاً، وشيّدت صروحاً ما زال (المُستردّون) يفاخرون بها العالم، ويستدعون السياح من كلّ فجّ.

وسكن الرابية غيرهم

أقام الغرناطيون في هذا الحيّ قروناً، مستمتعين بسكنى البيت الجميل فوق رابية تجود عليهم بالهواء العليل، ومُسهمين في بناء المجتمع الذي يعيشون فيه، إلى أن كان من جديد الحضارة الحديثة؛ المباني ذات الطوابق تنتظم على أطراف شوارع وسيعة، تنطلق فيها سيارات سريعة، فكأن هؤلاء الغرناطيين فطنوا -بعد ذلك العمر الطويل- إلى أنهم كانوا

العددان ٤٣٥-٤٣٦ / رمضان - شوال ١٤٣٢هـ



يعانون الصعود والنزول في دروب مضجرة، تعجز مواصلات اليوم عن سلوكها، فبدؤوا يتخلون عن منازلهم، لكنهم لا يجدون من يحلّ محلّهم إلا من ضاقت ذات يده، فساكنو الرابية اليوم هم من فقراء القوم.

وهاهي ذي طفلة تبرز لنا من باب بيتها شعثاء الشعر، تنظر ملياً إلى من تراهم سياحاً أجانب يرتادون حيّها هذا الذي تجهل ما يتمتع به من مجد أثيل كانت قد امتزجت فيه دموع ودموع!. ويخرج إلينا من دكّانه، الذي بدا أنه خرق جدار بيت ليصطنعه. (فحّام) يحدثنا عن أن الناس اليوم لا يستعملون الفحم إلا لشيّ اللحم، وطبخ طاجن السمك (الطاجن: هو صحفة عالية الحواف من فخار يدخلونها الفرن)!.

ومن مصر إلى تطوان

حيٌّ أندلسي يتّسم بالعراقة المقرونة بالنظافة في البيت وفي الزقاق، يطلقون عليه اليوم (المدينة العتيقة)، وهو جزء من مدينة تطوان؛ تلك التي ذكرها الشاعر الشامي فخري البارودي في قصيدة ما زال المشارقة يردّدونها أنشودةً وطنيةً ذات حميّة:

بلاد العُرب أوطاني　　من الشـام لبَغْـدانِ

ومن نجـْدٍ إلى يَمَنٍ　　إلى مِصْرٍ فتَطْوانِ

وما كان للشاعر المتوفّى عام ١٩٦٦م أن يعرف أن اسم هذه المدينة أصلاً هو تيطاوين، ويعني باللغة الأمازيغية: عيون المياه الجارية، وقد تمّ اختزاله إلى تَطْوان، ويُنطق بالأمازيغية بالكسر: تِطوان، وهو بالمفرد: عين الماء؛ أي: الينبوع.

لو أن عيناً عربية!

أقول: حيٌّ متميّز عمرانياً وتاريخياً، يربض فوق رابية تحيط به أسوار، لو أن عيناً عربية مشرقية واعية نظرت إليه لجعلت منه منتجعاً سياحياً عالمياً. لكن ما أكثرها في بلادنا المعالم والأوابد والآثار! وما أقلّ ما نبدعه اليوم!!.



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

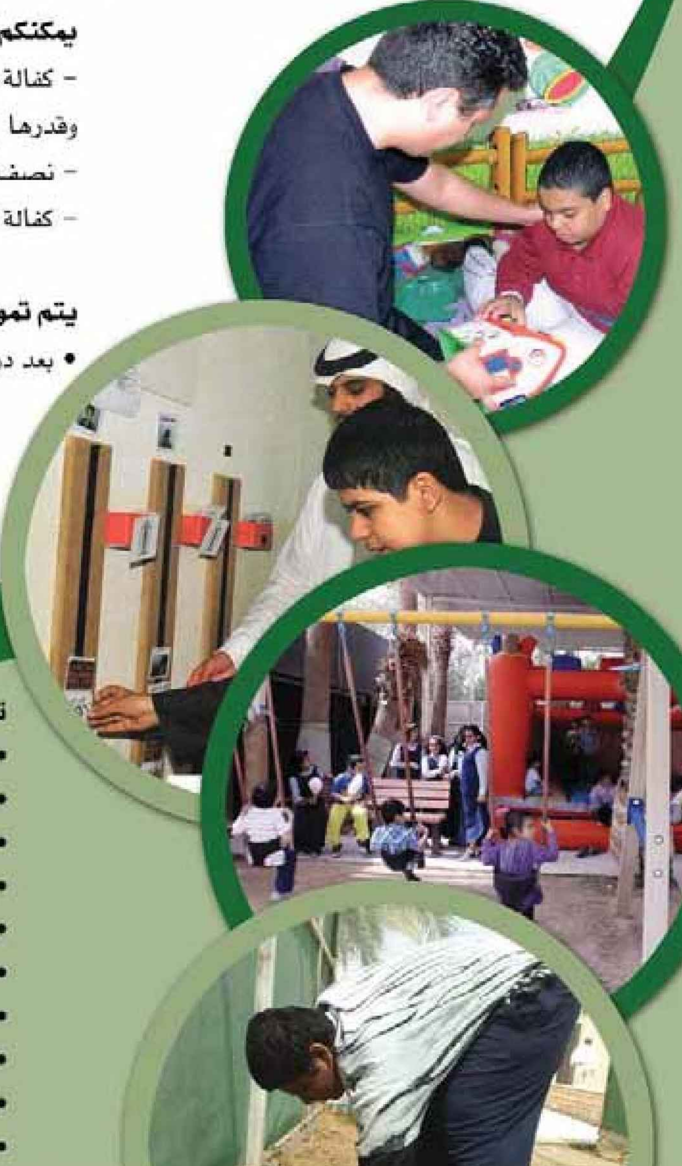
برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨





تساهم بكفالة يتيم

5055

قيمة الرسالة 10 ريال

STC الاتصالات السعودية

موبايلي mobily

ZAIN



للتبرع أو الاستفسار يرجى الاتصال على الرقم الموحد ٩٢٠٠٠١١٣٣

www.ensan.org.sa

مصرف الراجحي ١٦٤٦٠٨٠١٠٠٠٠١٩٠
بنك الرياض ٢٠١١٦٩٣٠٤٩٩٠١
البنك الأهلي التجاري ٢٢٣١٩٠٠٠٠٠٠٠٢٠٠

مصرف الإنماء ٦٨٢٢٠٠٠٢٠٠٠٠٠٠٠
بنك ساب ٠٢٠٠٩٩٩٩٠٤٧٢
البنك السعودي الفرنسي ٧٧٩٦٤٠٠٠١٦٣

مجموعة سامبا المالية ٩٩٠٧٠٠٤٧٥٨
بنك البلاد ٩٩٩٣٣٣٣١١١١٠٠٠٥
البنك العربي الوطني ٠١٠٠٨١١٧٤٠٠٠٠٠